

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خضر بسكرة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم الأدب العربي

الأربعون حديثا للشحامي من منظور لسانى تداولى

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي

إشراف الأستاذ الدكتور :

♦ محمد خان

إعداد الطالب :

• نصر الدين وهابي

السنة الدراسية 2004/2003

✿ الإِهْدَاءُ ✿

أرجو أن يتقبل من سأذكرهم هنا هذا العمل :

- ✓ من لست أدرى كيف يبدأ الحديث عنه : جدي.
- ✓ من هما لي صديقان غاليان : والدائي .
- ✓ من تملأ علي دنياي : زوجي.
- ✓ من هو خليق بكل نعوت الثناء : الأستاذ عادل محلو.
- ✓ من شجعوني ودعوا لي بالتوفيق مخلصين : زملائي الأفاضل أساتذة ثانوية محمد العربي بن مهيدى .

نصر الدين وهابي ﷺ

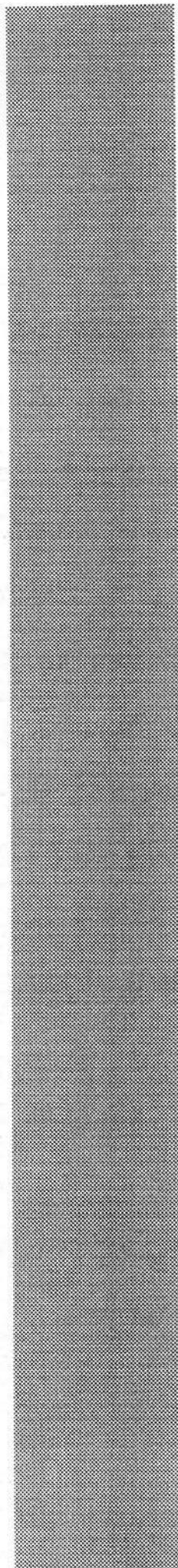
الشّكُر

أشكركم يا:

- ✓ أستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور محمد خان، وجازاك الله كل خير.
- ✓ أساتذتي الذين كونوني في الدراسات العليا :
 - الأستاذ الدكتور محمد خان.
 - الدكتور بشير إبرير.
 - الدكتور بلقاسم بلعرج.
 - الدكتور بلقاسم دفة.
- ✓ أخوي الفاضلين : الأستاذين صلاح الدين والأمين ملاوي.
- ✓ أحبني الأفضل : الأستاذة جمال عاقلي، عبد الحليم زبدي، الطيب سبتي.

نصر الدين وهابي

مقدمة



مُقَلِّمةٌ

ليس من هدف للدراسات اللغوية المؤمنة بالتحرك ضمن الإطار السوسيري، غير البرهنة على قابلية النشاط التواصلي الإنساني للقراءات العلمية المتسمة بالدقة و الانضباط و المنهجية، و المتجهة نحو التقني و التصنيف ، لهذا تعين على كل نظرية في اللغة أن تعلن عن طبيعة منهجها، و أدواتها، طالما أن هدفها قد أصبح معلوما سلفا .

و قد رأيت بحوثاً متأخرة تقدم التداولية على أنها نظرية في اللغة، لها أعلامها، و قاموسها الاصطلاحي، و فلسفتها التي تتجاوز حدود التنظيم و الصياغة المفاهيمية إلى مستوى التنفيذ الإجرائي التطبيقي، و زاد أن رأيت -في تقديرني- أنها نظرية تسعى لأن تماس كل ما يمكن أن يكون له دخل - ولو بقدر - في صياغة العملية التخاطبية على نحو يضمن صورتها المثلثي، أي وصول الرسالة بكيفية تحقق هدفها و مصلحتها المخطط لها بفعالية عالية.

هذا من جهة، و من جهة ثانية، رأيت أنها في جانبها التطبيقي تبتعد عن أن تختص بلغة محددة فحسب، و من هنا جاءت رغبتي في أن نتيح للعربية إمكانية البرهنة على استجابتها للتحاور مع مختلف النظريات التي يتوصل إليها الفكر اللغوي الغربي و من هنا أيضا، جاء اختياري، للتداولية منهاجا .

أما عن مدونة الإجراء فقد رأيت أن المنهج الدعوي الإسلامي إنما يعتمد في خطابه على تحقيق الكثير مما في فلسفة التداولية، و أهمه توفير الفعالية العالية لأجل التأثير ثم الاستجابة لمقتضى مبادئه، و هذه هي مصلحته المخطط لها .

و على الرغم من أن هذه ليست خصوصية للخطاب الدعوي الإسلامي، لكنني
آمنت أن نجاحه، على المستويين الزماني و المكاني في حياة البشر، إنما هو دليل
على تلك الفعالية العالية، و من هنا وقع اختياري على لغة داعية هذا الخطاب
الأول : رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فجاء الحديث الشريف مجال هذه
الدراسة الإجرائي، و لكن حديث النبي صلى الله عليه و سلم بحر خضم ، فتعين
من ثم - انتخاب نص حديثي يكون من الوجازة بحيث يسمح، في هذه الأدنى
بتغطية أهداف هذه الدراسة، فجاءت هذه الأربعون حديثا التي جمعها الشحامي
و التي أبحث لنفسي - و قد لا أكون متتجاوزا - نعتها بالأربعين الشحامية حملة على
الأربعين النووية الشهيرة التي وقفت على أنها استهدفت بالدراسة من قبل طالبة
بالدراسات العليا بقسم الأدب العربي بجامعة عنابة ، خصوصا و أني رأيت كتاب
الأربعين الشحامية حديث العهد بالطبع
باحث

و النشر و قد عمد إلى تحريرها و تحقيقها كلّم لنا من أهل باتنة .

قرأت نص الأربعين، فإذا هو يمس المسلم، عقيدة و أحكاما و أخلاقا، فرأيت
أن التأليف يبين شتاتها من قبل جامعها إنما كان لمصلحة إضافية، و هي الخروج
بالصورة الكاملة للحياة الإسلامية، فرأيت مقصدًا داخل مقصود، وهدفًا ضمن هدف،
أي إمكانية دراسة مقصد جامعها هي بعينها دون سواها من بين بدائل كثيرة من
أحاديث الرسول الكريم، وهذا بعد مقاصد الأحاديث في حد ذاتها، أي مواضيعها
المختلفة و المتنوعة، و من هنا جاءت الرغبة في إمكانية قراءة هذه الأربعين على
أنها نموذج لقراءة الحديث النبوى الشريف تداوليا .

ثم إني رأيت مراجع تجعل من نظرية الأفعال اللغوية، أهم ما يمكن أن يرسم
حدودا واضحة للبحث التداولي من خلال ما تقدمه من تصنيفات و تقسيمات اقتربتها
على أدوات اللغة ، هذه الأدوات التي هي أفعال لغوية .

و أفعال اللغة Les Actes de Language تَصُورُّ قَدْمَه للسانيات أوستين Austin و خطابه تلميذه سورل Searle خطوات إضافية، و من هنا جاء تركيزى فى هذا البحث على تصوري هذين اللسانيين الذين كادت تتحصر النظرية التداولية فيهما .

و كان أن رأيت أيضاً أن ما ترکز عليه هذه النظرية من ضرورة الاهتمام بجميع محددات العملية التخاطبية و عناصرها، يلقى قدرًا غير هين من الاهتمام أيضًا في درسنا البلاغي و النحوى التراثي الموروث، و من ثم قدرت أن ليس يكتمل هذا البحث إلا بإتاحة هذه المسألة، مسألة حضور اهتمامات التداولية في ما ورثنا من درس لغوي، موقعاً خاصاً .

و بعد :

فقد وجدتني - بموجب ما سبق ذكره - في مواجهة هذه المباحث :

1/ ما التداولية لغة واصطلاحاً؟

2/ ما المدونة المستهدفة بهذه الدراسة التداولية إجرائياً؟

3/ ما هي منطلقات هذه النظرية و الفكرية و أصولها النظرية و مقارباتها و جذورها المفهومية، عربياً و غربياً؟

4/ ما نظرية أفعال اللغة التي تعدّها الدراسات المهمّة بالتداولية أهم ما فيها؟ و لأي اعتبارات كان ذلك؟

5/ كيف يمكن اعتبار الحديث النبوي -تطبيقياً- نصاً تداولياً؟

هذا، و إن الصورة المنهجية التي اعتمدتها للإجابة عن هذه الأسئلة كانت موزعة على مدخل و ثلاثة فصول، اثنين نظريين و ثالث تطبيقي :

سعيت في المدخل إلى :

- التعريف بالتداولية لغة واصطلاحا، محاولا في ذلك المقاربة بين الإطلاق الغوي العربي للجذر (دول) و بعض من أفكارها و مفاهيمها العامة .

- التعريف بالمدونة، حيز التطبيق و التحليل، مؤلفا و مؤلفا .

و حاولت في الفصل الأول أن :

- أعبر عن توفر دراسات علمائنا الأولين، اللغوية و البيانية، على ما له صلة بالكثير مما تناوله التداولية الغربية الحديثة انطلاقا من مفهوم البيان و مواصفات الإبلاغ الناجح، فعمدت في ذلك إلى الجاحظ و الجرجاني و القرطاجي و السكاكي، و بعض أفكار النحاة.

- أشير إلى المنطلقات و الأسس الفلسفية و الفكرية الغربية التي أسست لبروز الرؤية التداولية، و كذا الممهدات اللسانية لظهورها فانطلقت من إشارة سوسيير إلى السيماء التي انبثق عنها الدرس التداولي، مرورا بمفهوم الدليل البيرسي و من تلاه من لغوين وصولا إلى أوستين و سورل

و عمدت في الفصل الثاني إلى أن :

- أركز على تصوري أوستين و سورل على قاعدة أنها صاحبا إضافة ذات خطر للبناء التداولي من خلال خروجهما بنظرية أفعال اللغة المعبر عنها بتصنيفات أو تقسيمات لتلك الأفعال تتيح إمكانية التعامل التطبيقي مع النص .

- و ختمت بفصل ثالث، أفردته للتحليل الإجرائي لنصوص الأربعين وفقا لتقسيمي أوستين و سورل مركزا - في حدود فهمي - على الأدوات المشكلة لبنية كل حديث من أفعال وتراتيب و أساليب، تشكيلا جاريا على ما يحقق التأثير و الإقناع الم عبر عندهما في لغة التداولية بـ (تحقيق المصلحة) .

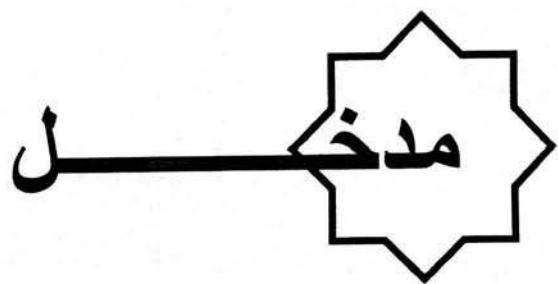
و أما منهجي فتطبيق التداولية، و أجرأة تصنيفاتها و تحليل الأحاديث على ضوئها، هذه الأحاديث التي كانت المصدر الأول لمادة هذا البحث، و قد أحالتي على جملة من الكتب و الدراسات المهمة بالسنة النبوية من الوجهة البلاغية و اللغوية ، لعل أهمها (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية) للدكتور عز الدين علي السيد .

أما الفصلان النظريان، فقد أحالاني على مراجع أفت من منها في جانب البحث عن المفاهيم التداولية في الدرس اللغوي البياني العربي القديم، فكانت لأهم لغويننا و بلاغيينا القدامى كالبيان و التبيين للجاحظ، و منهاج البلغاء للقرطاجي و خصائص ابن جني و ما تناولها بالدرس من كتب للمحدثين .

واعتمدت عليها في جانب التأسيس النظري الغربي لهذه النظرية فأفت من مراجع ككتاب introduction a la linguistique Contemporaine لجاك موشلار و أنطوان أوشلان و كتاب (المقاربة التداولية) لفرانسواز أرمينيك و كتاب La conversation لكاثرين أوريكيوني و ما اتصل بذلك من مراجع تناولت التداولية بالتعريف، في سياق عرض مختلف النظريات اللسانية الأخرى المجاورة لها ككتاب (اتجاهات البحث اللساني) لميلاكا إفيتش و بعض المقالات المنشورة في غير ما مجلة كمجلة (الفكر العربي المعاصر).

و إلى هنا، تجب الإشارة إلى ما اعترضني من تعذر الوصول إلى مراجع كثيرة الأمر الذي جعل الحصول على التصور الواضح و التمثيل الدقيق لهذه النظرية صعبا بل على قدر غير هين من الصعوبة، مع المراجع الفرنسية التي حصلت عليها والتي اضطررت إلى الاجتهاد في الترجمة ، لذلك كله أخشى أنني قد دنوت إلى ما لست من أهله، و ما طفت أطبله ببضاعة معرفية مزاجة .

و بعد فأوجه شكرًا خالصا لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، ولو
بدعوة توفيق، و أما أستاذي الدكتور محمد خان فله الحصة الائقة بمقامه الأخلاقي
والمعروفي من الشكر ، فقد أمنني بما لست أحصيه من إضاءات علمية و توجيهات
معرفية لا أحسبني كنت في غنى عنها .



١. الدّاولَةُ: لِفَّةٌ وَأَطْلَاقًا.
٢. السَّقِيفُ إِلَيْهِ دُونَهُ.

أولاً : التعريف بالتداولية لغة واصطلاحا :

رأيت من المستحب لمن اصطفى التداولية منهجا لدراسة يطبقها على مدونة من المدونات، أن يقدم بين يدي دراسته ما من شأنه أن يغدو موطنًا لهم منهجه، وآليات تحركه، ومصطلحات منطقه، ولعل النظر في الأصل اللغوي الذي نبع منه تسمية منهجه - أي التداولية - لمما له خطره في مزيد الإيضاح، إذ أن في انتخاب تسمية من جملة بدائل كثيرة تقدمها إمكانات اللغة عملية ما كانت إلا لمقتضى من المقتضيات، ولعل هذا المقتضى المنظور إليه أن يسهم في تقديم المبرر العلمي للجانب الاصطلاحي فيما بعد، وبعد :

1.1. التداولية لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور:

«**دول** : **الدولة والدولة** : العقبة في المال وال الحرب سواء، وقيل : **الدولة في المال والدولة في الحرب**، وقيل **هما سواء فيما بينهما**، يضمان ويفتحان، وقيل : **بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا**، وقيل : **هما لقمان فيما والجمع دول ودول**.

الدّولة : أن تداول إحدى الفئتين على الأخرى، يقال : **كانت لنا عليهم الدولة، والجمع دول، والدّولة في المال**، يقال : **صار فيه دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول**، وقال أبو عبيد : **الدّولة اسم للشيء الذي يتداول به بعينه، والدّولة بالفتح الفعل وفي حديث أشراط الساعة : إذا كان المقام دولا، جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وفي حديث الدعاء: حدثني بحديثك سمعته من رسول الله لم يتناوله بينك وبينه الرجال أي لم يتناقله الرجال وترويه واحدا عن**

واحد، وإنما ترويه أنت عن رسول الله ص... وتدولنا الأمر أخذناه بالدول
... قولهم دوليك أي تداول بعد تداول ⁽¹⁾.

تكاد هذه الإحالات اللغوية أن تتيح للمفاهيم التداولية في مبادئها العامة أن تسجل حضورها في تضاعيفها، فالإحالات على أن في (الدولة) تناوباً على المال ونزاعاً عليه، ووقوعه في يد تارة، وفي ثانية أخرى، تأسيس لوجود طرف في التداول (المرسل والمتلقي) وإن لم يكن في نية الواحد منهما أن يصيّره، أي المال هنا، في يد الآخر، ولكن مبدأ التنقل حاصل لزاماً، أي تنقل المال من جهة إلى جهة غيرها.

وأما مبدأ المقصدية Intention الذي معناه مراعاة ما ينويه المتكلم ويستهدف إيصاله إلى المتلقي من معنى محدد، فيمكن الوقوف عليه في قول أبي عبيد : « الدولة : بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ». وفكرة المواجهة الموطئة لتحقيق التداول، فيمكن أن تستشف من حديث الدعاء الوارد في : (حدثني بحدث سمعته من رسول الله ص - لم يتداوله بينك وبينه الناس) وذلك من خلال الإيمان غير المعلن بأن الناس توافدوا على لغة الحديث الذي يعنيه طالبه هنا، وإن لم يكن ذلك واقعاً، أي ليس هذا الحديث المطلوب مما سرى في الناس فيتداولوه، إذ لو حدث به أحدهم لدفعه الناس لعدم التوافد علىه.

⁽¹⁾ لسان العرب، مادة (دول)، 301/11

1.2. التداولية اصطلاحا :

- يقدم قاموس اللسانيات لجون ديبوا Jean Dubois تعريفا بمصطلح (التداولية) على هذا النحو :

(مظهر يبدو من خلال استعمال الخطاب وفق خصائص ما، من مثل المحفزات السيكولوجية للمتalkingين وردود أفعال المتalkingين، واجتماعية الخطاب، ومراميه ... في مقابل مظهره النحوي والدلالي).⁽¹⁾
- كما نقف في قاموس العالمين (Greimas) (كريماس) و(كورتس) على أن المصطلح يحيل على مافيه نظر في الطريقة التي يتحقق بها الخطاب والتأثير المتبادل بين المتalkingين.⁽²⁾
- وجاء في قاموس petit larousse أن (pragmatique) تدل على :

الميدان الذي يدرس إمكانات استعمال اللغة من قبل المتalkingين في وضعية إتصال، وكذا شروط هذه الوضعية التواصلية⁽³⁾

وبإدخال اللحقة (isme) الدالة على المذهبية تدل (pragmatisme) على :

المذهب الذي يأخذ القيمة العملية معيارا للحقيقة.⁽⁴⁾
- أما قاموس Marie (Les termes clés de la linguistique) الذي وضعه Noëlle Gary-prieur فيشير مباشرة إلى عمل السيميائي شارل موريس charles Morris المندرج ضمن إطار إضافته للرؤى التداولية، لا إلى شرح مباشر للمصطلح⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P 288.

⁽²⁾ Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P 288.

⁽³⁾ **pragmatique** : domaine qui étudie l'usage que peuvent faire de la langue, des interlocuteurs en situation de communication ainsi que les conditions de celle-ci. Petit larousse. Paris. Edition 1987, P734

⁽⁴⁾ **Pragmatisme** : doctrine qui prend pour critère de la vérité la valeur pratique. Petit Larousse, P734

⁽⁵⁾ Les termes clés de la linguistique, collection Mémon, N°123 , PARIS 1999, P44.

وهو مصطلح يحيل على درس حيوي يهتم « بدراسة العلاقات الموجودة بين الدول ومستعملتها »⁽¹⁾، وقد جاء نعنه في كتاب (المقاربة التداولية) لأرمينكو Armenégaud كطبيعة بأنه درس يسعى إلى الإجابة عن أسئلة كنحو :

- ماذا نصنع حين نتكلم؟
- ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟
- لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بمايونيز الثوم بينما يظهر أن في إمكاننا ذلك؟
- فمن يتكلم إذن، وإلى من يتكلم؟
- من يتكلم ومع من يتكلم؟
- من يتكلم ولاجل من؟
- ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟
- ماذا يعني الوعد بالشيء؟
- كيف يمكننا قول شيء آخر غير ماكنا نريد قوله؟
- هل يمكن أن نرکن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟
- ما هي استعمالات اللغة؟
- أي مقياس يحدد قدرة الواقع الإنساني اللغوية⁽²⁾؟

إن التداولية علم على بحث يسعى للإجابة عن هذه الأسئلة، وهي بذلك تعبر عن اهتمامها بمبدأ يندرج ضمن اهتمامات غير قليل من النظريات المشغولة بتحليل الخطاب، هذا المبدأ هو (الانسجام) أي ذلك التلام و الاتساق بين الوحدات اللغوية ألفاظاً و جملة و حروف، مما له تأثير على دلالة النص و رسالته .

⁽¹⁾ CATHRINE ORECCHIONI, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, P 185.

⁽²⁾ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 11.

وفي هامش ثري لخولة طالب الإبراهيمي ذيلت به فصلاً يعني لسانيات الخطاب، ما يفيد أن الأستاذ أحمد المتوكل، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط بالمملكة المغربية، هو أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية الذي يقابل في الفرنسية (Pragmatique) وأنه من ثم - أصبح مصطلح التداولية متداولاً مستساغاً شائعاً من بعد استحسان له.⁽¹⁾

ولكن من الدارسين من ليس يرى في مصطلح التداولية هذا دقة في الإحالة على المقصود، كنحو ما ذهب إليه الدكتور محمد محمد يونس علي في مقال له عن أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة : « أفضل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائجية كما يفعل عدد من اللغويين العرب، توهماً منهم بأنهما pragmatics و pragmatism شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتافق مع معناها الحرفي وهو "علم الاستعمال"... ولذا فإن ترجمة pragmatics بعلم التخاطب أنساب - في رأيي - من الخيارات التي اطاعت عليها حتى الآن. أما pragmatism فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعاً، ما لم تكن لها تطبيقات عملية»⁽²⁾.

ولعل ضرورة الالتزام بالحقل المعرفي هو ما جعل صاحب هذه القناعة يدعو ولو ضمنياً، إلى الفصل بين براغماتية اللسانيين و براغماتية الفلسفه، ولكن هذا قد يورطنا في الاعتقاد بأن لا صلة بينهما، والحقيقة غير ذلك، وسيأتي في سياق الحديث عن تصور أوستين محاولة في الكشف عن هذه الصلة، بل ربما كانت

⁽¹⁾ مبادئ في اللسانيات ، ص 176.

⁽²⁾ أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، المجلد 32 ، 1 يوليو، سبتمبر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت ص 173.

صلتها المؤكدة بالبراغماتية الفلسفية الأمريكية هي ما اضطر الباحثين إلى توسيع دائرة الحديث عن البراغماتية اللسانية إلى الوعاء الفلسفي الكبير، تقديرًا منهم أن في ذلك أكثر تفسيرًا لها، وفهمًا لمبررات وجودها.

هذا، وتتوافر مراجع بين يدي على شيء من التفصيل في الشرح الاصطلاحي، وإن يكن في الفصل اللاحق مجال أرحب لاستيعابه، - أي فصل الأصول والمقاربات - إذ المهم أنه مصطلح غدا يطفو على أغلفة دراسات في صيغة عناوينها من نحو كتاب : (الوظائف التداولية في اللغة العربية) للأستاذ أحمد المتوكل، وذلك سنة 1985⁽¹⁾

ثانياً : التعريف بالمدونة :

1.1. الشhamي : هو أبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر بن محمد، النيسابوري، الشhamي، أما النيسابوري فنسبة معروفة إلى نيسابور، وأما الشhamي، فإني وقفت على أن السيوطي يعزّوها في كتابه "لب الباب في تحرير الأنساب" إلى بيع الشحم، يقول : « الشham : إلى بيع الشحم، وكان

الشhamي مثله »⁽²⁾

ولد سنة خمس وسبعين وأربعين، فهو من علماء المائة الخامسة، وتحديداً كان مولده في يوم السبت، الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة بنيسابور.

ولكن محقق الأربعين، يشير في مصادره إلى ترجمة للشhamي في كتاب " شدرات الذهب " لابن العماد (153/4) لكتي عند العودة إليه وجدتها لآخر وليس صاحب الأربعين، ووجدت الذهي يذكر في كتابه " سير أعلام النبلاء "

⁽¹⁾ سعيد علوش، انظر المقاربة التداولية، الفكر العربي المعاصر، ص 60.

⁽²⁾ لب الباب في تحرير الأنساب، ص 238.

(227/20) هذا الذي أخطأ فيه المحقق على أنه عالم آخر مات معه في السنة
نفسها .

يحدثنا الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن علمه فيقول : « سمع من جده وعثمان بن محمد المحمي، وأبي بكر بن خلف و... وعدة »⁽¹⁾.
و جاء في المصدر عينه عن أخلاقه : « كان ثقة صدوقا ... ».
وفقد سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وللشhamي ترافق في : سير الذهبي (254/20) وتاريخ ابن خلدون (137/4)
ودول الإسلام (66/2) والنجوم الظاهرة (319/5) وشذرات الذهب (153/4).

2.1 الأربعون :

أشار الذهبي إلى أربعين الشhamي فقال : « له " أربعون" و " أربعون"
معناهما ».

ولم أقف على معنى محدد لذكره " أربعون" إلا أن يكون للشhamي أربعونان،
وإما تعبيرا عن صيغة عنوان الشhamي (أربعون عن أربعين عن أربعين)،
ولكن قوله في معرض الحديث عنمن أخذ من أربعين الشhamي : « أخرج من كل منها حديثا صاحب كتاب (الأربعون من أربعين) وهو البكري » قد يقضي
بأن للشhamي أربعينين.

- سبب جمعها :

جاء في مقدمة أربعين الشhamي قول أصحابها : « فقد سلف مني جمع
أربعين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أربعين شيخا من
مشايخي الذين أدركتهم وسمعت منهم، ورجوت بذلك الدخول في الزمرة الذين

⁽¹⁾ سير أعلام النبلاء، 254/20

ورد فيهم الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ أربعين حديثاً عن أمته »⁽¹⁾.

ففي كلامه إشارة إلى السبب الذي حمله على جمعها، وهو الرغبة في دخول زمرة من عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيمة في زمرة الفقهاء والعلماء »⁽²⁾.

على الرغم من أن العلماء العارفين بالحديث جرحاً وتعديلها، دراية ورواية، نصوا على أنه لم يصح منه شيء، وسيعده النووي المتوفى سنة 676 هـ بعد الشhamي ضعيفاً اتفاقاً.

محقق الأربعين ومخرجها :

هو أبو عبد الرحمن بن عيسى الباتني، وقد اجتهدت في البحث عما يفي بالتعريف به فما عدت بشيء، ويشير في مقدمة تحقيقه إلى أنه وقف على نسخة للأربعين الشhamية مخطوطة ضمن مجموعة محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق، فعمل على تحقيقها تعميماً للنفع، ولكنه اشتغل بتخريج أحاديثها، فوقف على أن الصحيح منها واحد وعشرون حديثاً، وتسعة عشر تدرج ضمن ألقاب (المتروك والمنكر والباطل والموضوع والغريب)، وهذا جدول، أكشف فيه عن تخرير الأحاديث بألقابها :

⁽¹⁾ أربعون حديثاً، ص 22.

⁽²⁾ النووي، شرح الأربعين النووية، ص 02.

نقطة	الحديث
منكر	ال الحديث الأول
باطل	ال الحديث الثاني
صحيح	ال الحديث الثالث
موضوع	ال الحديث الرابع
صحيح	ال الحديث الخامس
صحيح	ال الحديث السادس
غريب	ال الحديث السابع
صحيح	ال الحديث الثامن
ضعيف	ال الحديث التاسع
ضعيف	ال الحديث العاشر
ضعيف	ال الحديث الحادي عشر
ضعيف	ال الحديث الثاني عشر
ضعيف	ال الحديث الثالث عشر
ضعيف	ال الحديث الرابع عشر
صحيح	ال الحديث الخامس عشر
صحيح	ال الحديث السادس عشر
باطل موضوع	ال الحديث السابع عشر
صحيح	ال الحديث الثامن عشر
غريب	ال الحديث التاسع عشر
صحيح	ال الحديث العشرون

ضعيف	الواحد والعشرون
ضعيف	الثاني والعشرون
صحيح	الثالث والعشرون
صحيح	الرابع والعشرون
متروك	الخامس والعشرون
ضعيف	السادس والعشرون
صحيح	السابع والعشرون
منكر	الثامن والعشرون
صحيح	التاسع والشرون
صحيح	الثلاثون
غريب	الواحد والثلاثون
صحيح	الثاني والثلاثون
صحيح	الثالث والثلاثون
صحيح	الرابع والثلاثون
صحيح	الخامس والثلاثون
صحيح	السادس والثلاثون
صحيح	السابع والثلاثون
صحيح	الثامن والثلاثون
ضعيف	التاسع والثلاثون
صحيح	الأربعون

فهذه هي أحاديث الأربعون، وأما شيوخه الأربعون فهم:

(أ)

- 1 أحمد بن الحسن بن علي بن عمرويه العمروي الحاكم أبو منصور.
- 2 أحمد بن سهل بن محمد السراج أبو بكر.
- 3 أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي أبو بكر.
- 4 أحمد بن محمد بن إسماعيل الشجاعي أبو الحسن.
- 5 إسماعيل بن الحسن بن علي الفرائضي الخطيب أبو القاسم القاضي.
- 6 إسماعيل بن أبي سعد بن عمر الإبريمي أبو عثمان.
- 7 إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي أبو عبد الله.
- 8 إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعيد الساوي أبو القاسم.

(ح)

- 9 الحرة ستي بنت الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني.
- 10 الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم السمرقندية الحافظ أبو محمد.

(خ)

- 11 خلف بن طاهر بن محمد الشحامى أبو نصر.
- 12 زاهر بن طاهر بن محمد العدل.
- 13 سعيد بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الأسد آبادى الصوفى أبو سعد.

(ش)

- 14 شافع بن علي بن أبي الفضل الطريثى أبو الفضل.

(ط)

- 15 طاهر بن محمد المستملى أبو عبد الرحمن.

(ع)

- 16- عبد الباقي بن يوسف بن علي المراغي أبو تراب.
- 17- عبد الجبار بن سعيد بن محمد بن أحمد بن البحتري أبو نصر.
- 18- عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواحدي أبو القاسم.
- 19- عبد الكريم بن علي بن أحمد بن محمد بن خشنام الأديب أبو نصر.
- 20- عبد الله بن الحسين بن هارون الوارق أبو نصر.
- 21- عبد الملك بن عبد الله بن محمد الدشتي أبو سهل.
- 22- عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو سعيد.
- 23- عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسكيه أبو سعيد.
- 24- عثمان بن محمد بن عبيد الله المحمي أبو عمرو.
- 25- علي بن أحمد بن محمد الفارسي أبو الحسن.
- 26- علي بن أحمد بن محمد المديني الزاهد أبو الحسن.

(ف)

- 27- الفضل بن أحمد بن محمد الجرجاني أبو القاسم.
- 28- الفضل بن أحمد بن محمد الساعدي أبو مسعود.
- 29- الفضل بن عبد الواحد بن عبد الصمد أبو العباس.

(م)

- 30- المبارك بن محمد بن عبيد الله الواسطي أبو الحسين.
- 31- محمد بن إسماعيل بن محمد السري بن بنون التفلسي أبو بكر.
- 32- محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن البالوي أبو إبراهيم.

- 33- محمد بن عبيد الله الصرام الزاهد أبو الفضل.
- 34- محمد بن مأمون بن علي المتولى أبو بكر.
- 35- محمد بن محمد بن أحمد بن هميمادة الرامشي أبو نصر الرئيس.
- 36- مسعود بن سعيد النيلي المتطب أبو الفضل.
- 37- موسى بن عمران بن محمد الانصاري الصوفي أبو المظفر.
- (ن)
- 38- نصر بن الحسن بن قاسم الشاشي التاجر أبو الفتح.
- 39- نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي أبو علي.
- (هـ)
- 40- هبة الله بن محمد بن حيدر بن محمد بن فنجويه القرشى أبو السنابل.

وأما الصحابة الأربعون، فهم هؤلاء مع الأحاديث المروية عنهم:

المخرج	رقم الحديث	المخرج	رقم الحديث
شداد بن أوس	21	أبو بكر الصديق	01
أبو برسزة	22	عمر بن الخطاب	02
عبدالله بن مسعود	23	عثمان بن عفان	03
عمران بن الحصين	24	علي بن أبي طالب	04
أبو الدرداء	25	طلحة بن عبد الله	05
جابر بن عبد الله	26	الزبير بن العوام	06
حذيفة بن اليمان	27	سعد بن أبي وقاص	07

سلمان الفارسي	28	سعد بن زيد	08
عوف بن مالك	29	عبد الرحمن بن عوف	09
جرير بن عبد الله	30	أبو عبيدة بن الجراح	10
أسامة بن زيد	31	عبد الله بن عمرو بن العاص	11
كعب بن مالك	32	عبد الله بن عمر	12
أبو قتادة	33	عبد الله بن عباس	13
النعمان بن بشير	34	أنس بن مالك	14
أبو موسى الأشعري	35	زيد بن أرقم	15
أبو ذر الغفاري	36	أبو هريرة	16
أبو سعيد الخذري	37	سهل بن سعد	17
جابر بن سمرة	38	ربيعة بن كعب الأسلمي	18
البراء بن عازب	39	بريدة بن الحصيب	19
جبير بن مطعم	40	المغيرة بن شعبة	20

الفصل الأول

التداولية: أصول ومقاربات

أولاً : عند الغربيين :

مقدمة هذا الفصل تتلخص في وجوب التأسيس النظري لمفاهيم التداولية المفضية إلى تصورات روادها الذين منحوها بعدها الإجرائي فيما بعد كـ ج.ل أوستين John.L. Austin و ج. ر. سورل John Searle ، بل لعلهما من أبرز الأسماء التي يمكن أن تعتمد في هذا المضمار، دون إغفال حقيقة تاريخية تضع ش.س. بيرس Pearce موضع المؤسس لهذا التوجه نحو التداولية، من خلال فكرته حول الدليل وأبعاده الثلاثة.

يقول الجيلالي دلاش في مدخله للتداولية : « لقد كان للعالم السيميائي ش.س بيرس اليد الطولى في المنعطف الحاسم الذي حصل صوب اللسانيات التداولية»⁽¹⁾.

وهو ما آمنت به خولة طالب الإبراهيمي أيضا في كتابها في اللسانيات، وقولها هذا يترجم إيمانها ذاك : « وحقيقة القول أن إرهادات أولية ظهرت أواخر القرن الماضي وببداية هذا القرن مع دعوات بيرس الذي عاصر دي سوسور ... دعواته إلى تناول الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة حتى وإن كانت في الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد، فإن ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة»⁽²⁾، وقد ذهبت إلى هذا في سياق توطئها النظرية للسانيات الخطاب.

ولعل البحث في التداولية على أنها حقل لساني أن يضطرنا إلى جذورها داخل الأطر اللسانية بالمفهوم السوسيري، ومن ثم، فإن سوسيير Saussure 1857-1913 يترأس قائمة الباحثين فيها من حيث كونه صاحب تلك النبوءة بميلاد المجال العام الذي تتحرك داخله التداولية، إن المجال المشار إليه ليس غير :

⁽¹⁾ مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 8

⁽²⁾ مبادئ في اللسانيات، ص 158.

(السيمياء)، يقول سوسيير : «اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار ... وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للضم البحكم وبالنظام الإشاري العسكري وبالنظام الإشاري النصفي ... إلخ .

إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وبهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا (Sémiologie) هذا العلم يستطيع أن يبين بنية الإشارات ويبين وبالتالي الأنظمة والقوانين التي تحكمها، وما دام هذا العلم غير قائم فلا أحد يستطيع أن يعرف ماهيته، ولكن على أية حال، إنه في سعي دائم لتحقيق وجوده، وذلك منذ أن ضربت أو تاده مسبقا»⁽¹⁾.

إن هذه النبوءة ستفتح المجال لمعاصره شارل ساندرس بيرس Pearce ليقدم إسهاماً له خطره ولا يمكن إغفاله في معرض الحديث عن مكونات المقاربة التداولية، ويمكن اختزال إسهام بيرس في مسألة مفهوم الدليل لديه، وإن :

- ما الفكرة البيرسية عن الدليل ؟

- وما المراد بأبعاده ؟

- وكيف للتداولية أن تقع موقعها في ذلك كله ؟

سأسعى إلى الإجابة عن هذه الأسئلة سعياً يستهدف التأسيس لفهم تصوري أوستين وسورل اللذين سيتم التركيز عليهما لاحقاً، ولأنهما المعتمد النظري في التحليل التداولي لنصوص الأربعين الشحامية من منظور إجرائي تطبيقي.

⁽¹⁾ بير جIRO، علم الإشارة، السيميولوجيا، ص 13.

الفكرة البيرسية عن الدليل :

لم تحل معاصرة بيرس Pearce (1839م - 1914م) لسوسير دون تجاوزه لمفهومه حول الدليل، هذه المعاصرة التي أتاحت له في المقابل أن يسعى في تطوير الفكرة السيميائية، إذ يعتبر سوسيير أول من جعل السيميانة هما من الهموم اللسانية⁽¹⁾، وإن اعتبر العالم الأمريكي موريس Charles Morris المهيكل الحق لهذا العلم لدى بعضهم، والذي اقترح على اللغويين تقسيم المباحث السيميائية إلى ثلاثة حقول (المقاماتية أو البراغماتية، وعلم الدلالة وعلم التراكيب)⁽²⁾.

والبراغماتية تحيل على الاهتمام بوسائل التواصل بعلاقتها بالإنسان، فسيمياء موريس ستغدو أمّا للتداولية بمقتضى توافرها على مؤسساتها من خلال النظر في البعد الاستعمالي للدليل والذي أقصاه سوسيير، إن فرانسواز أرمينكو آثرت أن تتطرق في تمييزها للحديث عن مقارب التدوالية من عنونة فصل لها بـ (تأسيس السيميائية) فهي بعد هذا الجامع اللسانى⁽³⁾.

لذلك كان للجيلاطي دلاش أن يعد هذه البراغماتية منبعاً من منابع أربعة مكونة لها التخصص : اللسانيات التدوالية⁽⁴⁾.

وكيفما أنصرف عن تصور بيرس منصفاً بعيداً، أقول : « إنه يدعو إلى اعتبار إحالة الدليل على واقع ما إنما تبني على رصد مجموعة من العادات، وليس العادة إلا مميزة لطريقة الاستخدام على نحو متواضع عليه اجتماعياً مع وجوب

(1) ميلكا ليتش، اتجاهات البحث اللسانى، ص 351.

(2) المصدر نفسه، ص 352 ، وانظر : P44 Marie-noëlle Gary-Prieur, Les termes clés de la linguistique,

(3) أرمينكو ، المقاربة التدوالية، ص 25.

(4) مدخل إلى اللسانيات التدوالية، ص 4-5.

النظر في ظروف الاستخدام وحيثياته، الظروف الحاصلة أو المحتملة الحصول»⁽¹⁾.

فلا مندورة بعد هذا عن اعتبار الدليل شيئاً معقداً بالنظر إلى كونه مركباً من أبعاد ثلاثة، تشكل بانصهارها مجتمعة كيان الدليل.

أبعاد الدليل :⁽²⁾

1. **البعد التكيببي** : ويتحقق فهمه من خلال اعتبار الدليل شيئاً مجرداً كاماً في ذاته، لا يختص بالإحالة على شيء محدد، فالبياض قبل إحالته على السلام أو غيره هو شيء ينتمي إلى المجرد المطلق.

2. **البعد الدلالي** : وترجمه علاقة الربط بين الدليل وما يدل عليه، ومن ثم فهو بعد دلالي إحالى معنوي.

3. **البعد التداولي** : وهو الذي يجعل من الدليل قانوناً عاماً صالحاً لاستعماله استعملاً تأويلياً عرفياً⁽³⁾.

إنه ينبغي الانتباه إلى أن هذا ليس يعدو كونه شرحاً من شروح الفكر البيري في هذا الطرح، إذ في الإمكان الوقوف في مظان أخرى على شرح مباین، وذلك كالتالي :

الدليل في التصور البيري سيرورة سيميائية، انصهار علائمي بين أبعاد ثلاثة مكونة للدليل : أول الثلاثة: التمثيل وثانيها: الموضوع وثالثها: المؤول، فالدليل يمثل موضوعاً سيغدو مؤولاً آخر كدليل له وهذا آخر، وهكذا إلى ما لا نهاية.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 8.

⁽²⁾ بعض الباحثين يسمى هذه الأبعاد مقولات بيرس العامة، انظر مثلاً: مبارك حنون ، دروس في السيميائيات ، ص 43 .

⁽³⁾ مبادئ في اللسانيات، ص 159.

أو على آخر مثل انتلاق السيمياء عنده من تركيب ثلاثي للعلامة، أي من :

- الماثول *représentamen* أي الدال.

- الموضوع *objet* أي الأمر الخارجي.

- التعبير *interprétent* أي الصورة الذهنية التي تصدر عن المعبر.⁽¹⁾

إن هذا لاما عده جاك دريدا أيضا تحولا ذا خطر عن الفكرة السوسييرية

في مفهوم الدليل⁽²⁾.

وليس يغدو بيرس صاحب التصور الوحيد للدليل، بل سيتاح الأمر لاسم آخر يسعى مسعاه، إنه موريس.

لعل العالم الأمريكي موريس Morris يكون ذا تصور خاص تال لبيرس

ويمكن التعبير عنه بما يلي :

إن النظر البيري للدليل على أنه :

1. يؤول فكرة.

2. يدل على الشيء يقوم بتاؤيله.

3. موضوع على نحو معين يربطه بمدلوله⁽³⁾.

لهو نظر لا يخلو من تضييق لمفهوم الدليل من حيث عدم توفره على صورة منتظمة، وهي التي صاغها موريس. فالجانب الحسي المادي للناقلات والأشياء المراد الإحالة عليها ومجموعة المؤولات المؤسسة للعملية التداولية، يمكن للكل أن ينتمي من خلال أربعة عناصر :

1. الناقل وهو عنصر أول.

2. الموضوع المراد الإحالة عليه، وهو ثان.

⁽¹⁾ انظر : عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، ص 14.

⁽²⁾ أنور المرتجي، سيمياء النص الأدبي، ص 4.

⁽³⁾ انظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص ٣٨.

3. التأثير الذي يحدث لدى المستقبل، وهو ثالث.

4. المؤولات وهي عنصر رابع⁽¹⁾

وأنصهار الأربعـة في شـكل غير تسلسـلي ضروري هو ما يسمـيه :
(السـيرورة السـيمـيـائـية) .

إن موريس يدعـو إلى اعتبار الدليلـ، في حركـتهـ، يمارس سـلوكـاـ داخلـ وضع يحركـهـ ويـتحرـكـ بهـ، والـبعدـ التـداولـيـ يـتحقـقـ بـإدراكـ العـلـائقـ بـيـنـ جـمـيعـ هـاتـيكـ العـناـصـرـ كـلـهاـ، فـالـحـالـةـ عـلـىـ المـسـمـيـاتـ ماـ هيـ فـيـ حـقـيقـتـهاـ إـلـىـ دـعـوـةـ إـلـىـ تـبـنيـ سـلـوكـ ماـ منـ قـبـلـ المـتـلـقـيـ، وـالـدـلـيلـ بـعـاـصـرـهـ الـمـنـصـهـرـ لـيـسـ يـدـعـوـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ تـعـبـيرـ عـنـ رـدـ فـعـلـ مـاـ، وـآـيـةـ ذـلـكـ أـنـ جـمـلةـ مـثـلـ :

- سـيـتـمـ إـدـخـالـكـ السـجـنـ فـورـاـ .

تـفـرضـ أـنـ يـقـومـ المـتـلـقـيـ باـسـتـجـابـةـ مـنـ نـوـعـ مـعـينـ كـالـذـعـرـ أوـ الـبـكـاءـ أوـ حـتـىـ الفـرارـ .

وـبـعـدـ، فـإـنـ مـورـيسـ يـضـعـ أـصـبـعـهـ عـلـىـ الـبـعـدـ السـلـوكـيـ لـلـدـلـيلـ، وـهـوـ مـاـ يـكـادـ يـقـتـصـرـ عـلـيـهـ فـيـ انـحرـافـهـ عـنـ تـصـورـ بـيرـسـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـصـلـ إـلـىـ أـنـ التـداـولـيـةـ : عـلـمـ يـعـالـجـ عـلـاقـةـ الـعـلـامـاتـ بـمـؤـولـاتـهـ، وـهـذـاـ هـوـ التـعـرـيفـ الـبـدـائـيـ لـلـتـداـولـيـةـ، فـهـيـ تـعـالـجـ مـظـاهـرـ حـيـاتـيـةـ لـلـسـيمـيـوزـيـسـ Semoisisـ أيـ مـجمـوعـ المـظـاهـرـ السـيـكـولـوـجـيـةـ وـالـبـيـولـوـجـيـةـ الـتـيـ تـرـتـبـطـ بـعـلـمـ الـعـلـامـاتـ⁽²⁾ .

هـذـاـ، وـإـنـ بوـهـلـرـ Buhlerـ، عـالـمـ النـفـسـ الـلـغـويـ، الـأـلـمـانـيـ، يـكـادـ يـصـبـ فـيـ المـصـبـ عـيـنـهـ لـمـورـيسـ، وـإـنـ باـخـتـلـافـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الصـيـغـةـ، وـالـأـهـمـ أـنـهـ لاـ يـعـتـقـدـ

⁽¹⁾ المصدر نفسهـ، صـ10-11ـ. وـانـظرـ : Marie- Noëlle Gary-Prieur, Les termes clés de la linguistique, P44

⁽²⁾ المـقارـبةـ التـداـولـيـةـ، صـ41ـ

في تصور سوسير للدليل النجاعة والفاعلية الحقة فقدم اقتراحه البديل الممثل في
وظائف الدليل الثلاثة :⁽¹⁾

1. وظيفة التمثيل : حيث لا يدعو الدليل إلى أكثر من مطابقته للمدلول عليه في صورته دون مزيد كلغة الرياضيات، ولذا فهي وظيفة وصفية.

2. وظيفة التعبير : حيث يدعو الدليل إلى تجاوز تحقيق الإيصال إلى إثارة استجابة معينة كلغة الأشعار.

3. وظيفة النداء : وهي التي يدعو عبرها الدليل إلى إنجاز سلوك ما، كالأوامر والنوادي والقوانين المنسنة التي تنتظر انصياعاً أو تمرداً، وثمة وظيفة مركبة من التعبير والنداء، كلمات اللطف التي تؤثر في المتلقى وتنتظر سلوك الرد بالمثل.

[١٨٩٦، ١٨٩٣] إن بوهلم هنا يعبر عن إيمانه بمبدأ الشعرية الجديدة، ورومان جاكوبسون وبراك القائل : « أنا لا أؤمن بالأشياء بحد ذاتها، بل أؤمن بالعلاقات القائمة بينها ».⁽²⁾

ولكن أفكار بيرس Pearce ستتيح الفرصة أيضاً لاسم آخر، يعتقد أنه صاحب يد في بناء المنهج التداولي، إنه فريج Cothlob Freg، ذلك من خلال تمييزه بين اللغة العلمية، واللغة التوأصلية في هذا المقام، إذ يطلب إلى الأولى أن تقدم مساعدة على معرفة محددات الحقيقة، في حين تضطلع الثانية بتقديم كل ما يضمن نجاح التوأصل⁽³⁾.

وبهذا يكون فريج Freg داعية إلى تحديد المساحة التي تتحرك داخلها التداولية، فأخذ بذلك شرعية في انتماصه إلى تاريخ التداولية.

⁽¹⁾ انظر : فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 66.

⁽²⁾ النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 29.

⁽³⁾ المقاربة التداولية، ص 28.

إن فريج وبنعته اللغة العلمية على أنها ذات روابط منطقية، ولو سمه العادية بالمضببة، لأنها تنتهي إلى علاقات التفاعل التي تضطلع البلاغة والأسلوبية بالبحث عن قوانينها وقوانين (تلوين الفكر) - كما يعبر فريج ، أقول : إنه بذلك وبتميزه بين اللغة التي تحكمها قواعد عامة وبين التي تمكن الفرد من خلق قواعد فردية، يؤسس لاسم آخر أن ينطلق نحو نظرية أخرى، إنه فيتجلشتاين Wittgenstein ، وإنها نظرية (ألعاب اللغة).

يشير فيتجلشتاين إلى إيمانه بعدم فصل النشاط اللغوي عن الحياة، وكما أن الحياة تستند إلى قواعد وقوانين، فإن اللغة كذلك، وكما أن الحياة الاجتماعية تطور وتتنوع وإمكانات متواصلة فاللغة كذلك، ولكي يقدم الفيلسوف تصوره الكامل عن ألعاب اللغة يؤثر بناءه على مفهومي القاعدة والدلالة. فمفهوم القاعدة يحيل على وجوب خضوع الاستعمال اللغوي لقواعد ومواضعة واصطلاح، إذ اللغة كما لعبة الشطرنج وغيرها مؤسسة اجتماعية تحكم إلى أعراف، دون إهمال ما يسميه القواعد الفردية وهي التي تتيح للمتكلم أن ينبع في نشاطه اللغوي تنويعا غير متنه، ولكن داخل حدود القواعد العامة⁽¹⁾.

ويكتسي مفهوم القاعدة أهمية، من حيث إنه ينفي وجود لغة خاصة بالفرد، إذ لا حياة للغة إلا في إطار استعمال جماعي عام، لأنها تداول، أخذ ورد، يقول: « إن كل كلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئا ميتا، وما الذي يعطيها الحياة؟ إنها تكون شيئا حيا أثناء استخدامها، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أو أن الاستخدام نفسه هو حياتها ؟ »⁽²⁾.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 18-19. وانظر : P42 , Eric Grillo, La philosophie du langage

⁽²⁾ د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية. ص 263.

وهو كلام، إذا قيس بما قرره ستيفن أولمان Olman، كشف عن تشابه كبير بينهما، يقول أولمان : « وليس للغة حساب منطقي دقيق، لكل كلمة معنى محدد، وكل جملة معنى محدد، بحيث يمكن الانتقال من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامها لها في الحياة اليومية، وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وإن الكلمة مطاطة تتسع استخداماتها أو تضيق حسب الظروف وال حاجات، وإن اللغة ليست كرجل صارم يعرف دائماً ماذا يفعل، وي فعل دائماً طبقاً لقاعدة محددة، وإنما هي كرجل فضفاض متفائل، له نشاط متعدد يتلاعب بما لديه من دون صراامة أو خطة محكمة »⁽¹⁾

ومن هنا يتجلّى تركيز فيلسوف أكسفورد على التخاطب / الحوار / التداول.

وأما مفهوم الدلالة، فيدعى من خلاله إلى عدم الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر، فالمقدر هو معنى الجملة التي تلتزم بالخصوص لقواعد عامة وتكتب دلالتها من صلات تربطها بجمل مجاورة، والمحصل هو معنى الكلام أو القول في خلقه لتأثير في المتلقى من خلال فاعليته في صلب الحياة الإجتماعية⁽²⁾.

وأما المفهوم الثالث، فالألعاب اللغة، هذه التي يشبهها بأشكال الحياة المتعددة واللامتناهية، فاللغة كذلك عدد لا متناه من طرق الاستخدام، فتتعدد أشكال الحياة يحيل على تعدد المقامات والسياقات، وهذا يحيل على ضرورة تعدد طرق الاستخدام اللغوي كي تقوى الحياة أن تجد نفسها مخبأة في اللغة، فعلينا ألا ننظر إلى أن مفهوم اللعبة اللغوية مفصل عن مفهوم القاعدة والدلالة.

⁽¹⁾ دور الكلمة في اللغة، ص 21.

⁽²⁾ مدخل إلى اللسانيات، ص 18.

ولكن مأخذ أخذت على فيتجشتاين، لعل أهمها أنه غير تداولي بما فيه كفاية، لأنه يقدم لائحة غير منضبطة، ومن ثم لا يمكن الاتكاء عليه إجرائياً⁽¹⁾ وعدم تداوليته معناه عدم حواريته كما عبر سورل Searle.

وعلى كل، فالفيلسوف يصنف ضمن أصحاب التيار التداولي، وضمن منظري أفعال اللغة تحديداً⁽²⁾، فقد كان يقول دائماً: «دع الألفاظ تعلمك وتوضح لك معناها من خلال استخدامها»⁽³⁾

وإجمالاً، إنها تصورات لموريس وبوهلم وفيتجشتاين ستتصاغ في ما بعد بـ (ال فعل الكلامي) وهي زاوية تداولية من حيث الدعوة إلى الاهتمام بجميع عناصر النشاط اللساني، مرسلًا ومرسلًا إليه، ورسالة وسياقًا ووظائف، إنه علينا أن نفهم أن تصوري بيرس وموريس مندمجان ضمن الذرائية الأمريكية، هذه الذرائية ~~الذرائية~~^{تحسب} ضمن مقومات انبثقت عنها النظرية التداولية، علينا كذلك أن ~~علم أن تصوري~~ بوهلم وفيتجشتاين ذوا أثر أيضاً في إنتاج مفهوم الفعل الكلامي.

ونحن ملزمون بإدراج التداولية ضمن الذرائية الأمريكية، لأنها التعبير عن مبادئها الفلسفية في عالم اللغويات، وأهم مبادئها إعادة النظر في الجهاز المقولاتي المؤمن بأن وظيفة اللغة مقتصرة على تصوير الواقع فحسب، والتعبير عنه فقط، ومجاوزة هذا الإيمان إلى ما تفرضه توجهات البشرية اليوم نحو النفعية والمصلحة، والتي يتعين على الجهاز المقولاتي الحديث، بمقتضاهما، أي تلك التوجهات، أن ينظر إلى اللغة على أنها يجب أن تبني على ما يحقق النفع العملي، وأن تأخذ كل أشياء اللغة معانيها الحقيقة من مجموعة المواقف العملية

⁽¹⁾ المقاربة التداولية، ص 33.

⁽²⁾ تحليل الخطاب الشعري، ص 8.

⁽³⁾ انظر: د/ عزمي إسلام، مفهوم المعنى، ص 66.

المصلحية، إذ لم يعد للمثل أو المعنويات المهيمنة على العصور القديمة معيارية في تحديد معاني الأشياء، وإنما الأمر اليوم للواقع المصلحي ليس غير، ولعل هذا ما جعل أوستين Austin ينظر إلى التصنيفات والمقولات التصنيفية الموروثة عن الإغريق والسلوكيين الذين أرادوا تجفيف اللغة من الحياة على أنها من باب الوصف الوهمي " *illusion descriptive* " أو الهازل

⁽¹⁾ " *péjoratif* "

وتمر التداولية بمحاولة كارناب وبارهيل الرامية إلى اتخاذ التداولية منهاجا تجريبيا من خلال التمييز بين السيميان الوصفية والسيميان المحسنة، ومن خلال تقديم صفة (التناوبية) للعمل التواصلي، أي أن اللغة فعل يتناوب.

من هنا يتضح الكثير من الرؤى لأوستين وسورل ليستفيدها منها في الوصول إلى نظرية (أفعال اللغة) التي اعتبرتها بعض المراجع اكتشافا⁽²⁾.

وبعد كارناب وبارهيل، يظهر على الخط التداولي اسم ستانكلار Stalnaker الذي يضعنا أمام انتقاد يوجهه لكل المفاهيم السابقة بأنها مبهمة ومتدخلة، فعلى الأشياء أن تكون شكلا، أو لا شكل، كي يسهل التعامل معها وتصنيفها وضبط نواميسها وتتيسر معرفة حدودها، فساهم بعد سورل في تحديد نشاط العمل التداولي، وبنظرة شمولية تصنيفية يسعى هانسون Hansson إلى تقديم برنامج يجمع كل هذه الإسهامات ليختزلها في تداولية ذات ثلاث درجات، الإشارية التي نقف فيها على محاولة روسل الاختزالية، حكم غرايس⁽³⁾ ونظرية أوستين وسورل في الأفعال الكلامية.

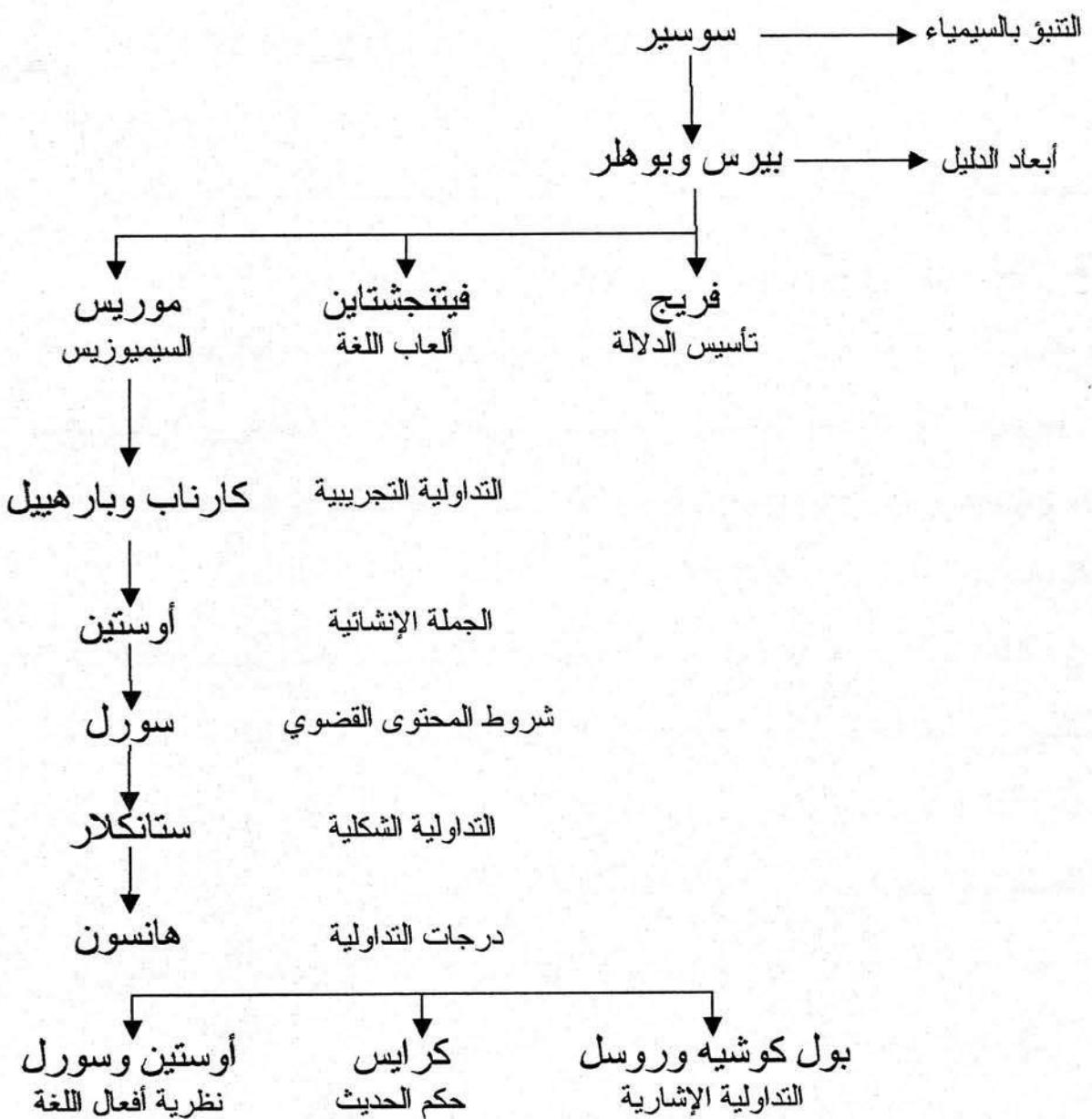
⁽¹⁾ Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P135.

⁽²⁾ Eric Grillo , La philosophie du langage, P 46.

⁽³⁾ Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P165.

و هذه خطاطة توضح المسار البناءي - في تقديرى - للمقاربة التداولية، يتبع
خلالها موقع أوستين وموقع سورل :

مكونات المقاربة التداولية



ولكن ثمة إشكالاً قد يزيد من متابع الباحث عن هذا المنهج المتحرك يتمثل في توع منطقات المهتمين به، هذه المنطقات الفكرية والأصول النظرية ذات الجذور العميقة، وهو الأمر الذي افتر عن تقديم تداولية مشكلة، ربما يكون التشديد عليها أهم من الإجابة عنها⁽¹⁾، ولذلك كان من الضروري في عقيدة بعض المهتمين بالمدارس اللسانية الإمام بالأطر الإبستمولوجية والمؤسسات الفكرية والفلسفية التي صاغت تلك المدارس الصياغة التي تقدم نفسها من خلالها، يقول الدكتور محمد محمد علي يونس : « تحكم الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية إلى حد كبير في تشكيل الاتجاهات اللسانية، وكثيراً ما يعود الاختلاف المنهجي بين اللسانيين إلى موقفهم من هذه الأصول»⁽²⁾.

ولعل جوهر الإشكال يكمن في أن للمقارب التداولية مكونات عديدة كأفكار بيرس وفريج وفيتنجتاين وموريس وستانكلار وهانسون وإشارية غوشيه، وسياقية سيرك وموضوعية ديكرو وأخيراً فكرة أفعال اللغة وغير ذلك من المكونات⁽³⁾.

إن هذا ما يجعلنا نصادف في النهاية العديد من التداوليات كتداولية البراغماتيين والسايكوسسيولوجيين وتداولية اللسانيين وتداوليات المناطقة والفلسفية⁽⁴⁾، الأمر الذي نجم عنه أثناء البحث عن التداولية المنشودة غير قليل من التناقضات قد تصاغ في شكل تساؤلات :

- هل هي منهج متافر يجتمع فيه كل هم نحوبي أو دلالي أو لساني لم يلق حلاً فاصلاً؟

- هل يمكنها أن تندمج ضمن أبحاث حقل آخر كالدلالة؟

⁽¹⁾ انظر : أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 60.

⁽²⁾ أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، عالم الفكر، ص 127.

⁽³⁾ أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 60.

⁽⁴⁾ سعيد علوش، المقاربة التداولية، الفكر العربي المعاصر، ص 60.

- ثم أنها جزء من السيميائيات؟

ولكل تساؤل منها اسم أو أكثر من العلماء، يسعى كل منهم إلى أن تكون إجابته عنه جوهر التداولية⁽¹⁾.

إن مترجم كتاب (المقاربة التداولية) -الدكتور سعيد علوش، وفي مقال له في مجلة الفكر العربي المعاصر ليختتم عمله بهذا السؤال المثني بسؤال:

- إنها إذن تداوليات عديدة؟

- لماذا لا تكون كذلك؟

ولكن ما الذي نريد انتخابه من هذا الزخم من المقاربات بالنظر إلى مقاصد هذا البحث؟ أكل تداولية؟، أم تداولية شرعية في دنيا الأبحاث اللسانية؟

إن تكن هذه الأخيرة، فمن الأخلاق أن يكون إسهامه مهمًا هنا؟

إن المصادر التي سما بين يدي تشير إلى إسهامي أوستين وسورل بل إن منهم من يختزل النظرية التداولية في المفهوم الأوستيني والسورلي لأفعال الكلام⁽²⁾.

ذلك اعتبارا لخلعهما الطابع العملي الإجرائي على مفاهيمها التي اقترحها عليها تصنيفات وتقسيمات، يغدو كل صنف منها مميزا بخصوصياته، يقول

الدكتور محمد محمد علي يونس: « ولعل من أهم ما ينبغي أن يذكر في سياق الحديث عن البراغماتية الدور المهم والمؤثر الذي قام به فلاسفة اللغة في تطوير هذا المجال، ومن الأعلام المهمين هنا -إضافة إلى بول غرایس المشار إليه سابقا- أوستين Austin وسيرل Searle اللذين قدما لللسانيات نظريتهما

اللذان

المعروفة بأحداث الكلام »⁽³⁾.

(1) أمينكو، المقاربة التداولية، ص 18.

(2) انظر مثلا: هاربرت باركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسنى، ص 11 وما بعدها.

(3) أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، العدد 1 ، سبتمبر 2003 ، ص 166 .

ولقد كان حديثه هذا في سياق ما أسماه المدرسة التخاطبية، وهو ليس يريد من التخاطبية غير التداولية.

ويؤيد كلامه هذا ما جاء في كتاب "Introduction à la linguistique contemporaine" : « إن التداولية منهج شهد تطوره الواسع لما انتهى إلى نظرية أفعال اللغة، وهي تشكل المسار التاريخي الذي تمثل هذه النظرية حلقة الأخيرة، ويعود فضل تطويرها إلى سورل الذي اتبع خطى أوستين الذي أسس لوجودها ».⁽¹⁾

ولعل هذا ما يبرر اطمئنان الباحثين إلى هذين الاسميين على أنهما أولى من يشار إليه في سياق الحديث عن التداولية، وذلك لأنهما نجحا في صياغة الصورة التي يجب أن تظهر عليها اللغة في عصر طغيان فلسفة البراغماتية التي تفترحها أمريكا على العالم .

⁽¹⁾ Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN , Introduction à la linguistique contemporaine, P 135.

ثانياً: عند العرب :

الحقيقة أن الاهتمام بالنشاط التواصلي من حيث هو حوار، أخذ ورد، إرسال واستقبال، تأثير وتأثر، إملاء واستجابة من الخطر بالمكان الذي لا يمكن معه تصور أن يكون الدرس اللغوي العربي خلوا منه أو مما هو منه بصلة، ولعل استقراء لصفحة التراث العربي أن يرد الباحث المستقرأ موقفنا بهذه القناعة.

يكاد بعض الدارسين المحدثين أن يجعل من التداولية إعادة صياغة للبلاغة العربية، فما هي إلا ثوب جديد لها، ذلك أنها تهتم بقضايا طالما استهلكت حبراً لدى بلاغيينا القدامى، وربما تكون قضية (اللفظ والمعنى) التي تسجل حضورها القوي في مصنفاته، من أهم مؤسسات الفكر التداولي لديهم، ذلك أنها وثيقة الصلة بمسألة البيان التي ستشغل الجاحظ كثيراً. والجاحظ لا يقيم كبير وزن للمعنى في سياق التمييز بين جيد الخطاب ورديئه بحجة أنه مطروح في الطريق، كما هو معروف عنه، وإنما العبرة بمعرفة تشكيل المبني تشكيلاً مبيناً، مفصحاً عن المقاصد بما يكفل الشعور بالجمال. إن الجاحظ كما يعبر الدكتور طه حسين مؤسس البيان العربي وفاقاً للعارفين بشؤونه من العرب⁽¹⁾.

وعلى الرغم من الإيمان بأن كتابه (البيان والتبيين) سجل حافل للتصور العربي للبيان في القرنين الثاني والثالث الهجريين، إلا أن ثمة قناعة تنتهي إلى مبحث أصلية البحث البياني العربي، هي قناعة الإيمان بتدخل الأعاجم، فرسمهم ويونانهم وهنودهم، في تكوين بنية هذا البحث، وتنأسس القناعة على ما جاء في كتاب الجاحظ مما يبرهن على ثقافته الموسوعية، إن أبو عثمان توفي سنة (255 هـ) أي بعد خلافة المنصور (158 - 169 هـ) بقرن من الزمان

⁽¹⁾ د/ طه حسين، كتب ومؤلفون، ص 248

تقربياً، وبعد أن حقق هذا الخليفة ما حقق في مجال الترجمة واستيراد الفكر
الخارجي إلى العرب.

يروي الجاحظ: « قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من
الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة ؟ قال: تقسيم الأقسام، و اختيار الكلام، وقيل
للروماني: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة،
وقيل للهindi، ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن
الإشارة »⁽¹⁾.

إن الكثير مما هو مزروع في هذا النص ليتوفر على فكر تداولي، من
خلال النظر في الإبانة (وضوح الدلالة) ومراعاة خصوصيات السياق
(انتهاز الفرصة) وإنقان تشكيل أدوات الإبلاغ وما يضمن الوصول إلى المتنقي
(حسن الإشارة). وهذه المبادئ كلها تغدو ذات عنایة باللغة من قبل التداولية.

ويعرف الجاحظ البيان بأنه (اسم جامع) يلتقي فيه كل ما له دور في
الوصول إلى المتنقي، وكل ما يمكن المتكلم من الوصول إلى تحقيق (محصول)
كلامه وأتاح له تحقيق الإفهام على نحو مباشر، يقول : « البيان اسم جامع لكل
شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع
إلى حقيقته، وبهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان
الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم
والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان »⁽²⁾.

ويكون مفهوم الجاحظ هذا تداولياً حقاً، كلما تم النظر إلى وظيفتي (الفهم
والإفهام) وهذا من مساعي طريق التداولية الحديثة، وربما يكون في الكلمة

⁽¹⁾ البيان والتبيين، 1/ 125.

⁽²⁾ البيان والتبيين، 1/ 76.

(المنفعة) هذه رؤية نفعية بحثة، تتحقق بإدراك مسؤولية المتكلم لمقتضياتها، وأهلية الملقي واستعداده.

ويشعر الجاحظ بضرورة الحديث عن أنواع الدلالة وطرائق الإحالة عليها فيجملها في خمس، فيقول: « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط ثم الحال التي تسمى النسبة، والنسبة هي الحال الدالة »⁽¹⁾.

يجمع الجاحظ خمس دلالات في فقرته، ليجعل اللفظ على رأسها، ومنه إلى ما هو إشارة مثلا، شعورا منه بما لهذه من أثر فعال في ضمان نجاح العملية التواصلية، وأما النسبة فقد فهمها د/بنياني على أنها هيئة تتوضع عليها الأشياء ف تكون دوال ب بصورة الهيئة تلك⁽²⁾ ، وكأنني بشكل الأشياء يقوم مقام الأداة التعبيرية التي تساعد المتلقى على تحصيل معنى الكلام، وثمة شرح مستفيض للدكتور صالح بلعيد لبقية ما جاء في تعريف الجاحظ من دلالات كالعقد والخط⁽³⁾

إن اهتمام الجاحظ وشعوره بخطر عناصر العمل التواصلي، من رسالة ومرسل ومرسل إليه ومقام ليحيل على أنه تداولي عربي بدرجة ما، بمقتضى إيمانه ببناء التواصل على ما يحقق النفع.

ويبيّب الدكتور طه حسين حديث الجاحظ عن البيان في أربعة أبواب تتوفّر على ما يجعل الجاحظ ذا فكر تداولي⁽⁴⁾ والأبواب هي:

1- الكلام على صحة مخارج الحروف، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الإسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه.

⁽¹⁾ البيان والتبيين، 1/76.

⁽²⁾ الجاحظ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية ص 77.

⁽³⁾ نظرية النظم، ص 114.

⁽⁴⁾ انظر: د. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص 293.

2- الكلام على سلامة اللغة، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض، والعيوب الناشئة من تناقض الحروف تناقضًا يمجه السمع.

3- الكلام على الجملة، والعلاقة بين المعنى واللفظ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها⁽¹⁾. ٤- آلة الكلام على هيئة الخطيب.

كما يعبر الجاحظ عن انتباذه إلى مسألة احترام المقام الذي يجري ضمنه التخاطب، واحترام مستويات المستمعين، فيقول: « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات »⁽²⁾.

كما يخلص د/ صالح بلعيد إلى اتفاق مبادئ الجاحظ وتقسيم اللسانيات للكلام إلى وظيفتين:

- التوصيل: وتعلق بالآخر.

- التعبير: دور المتكلم لا ينتهي عند حدود إيصال المعنى، بل يجاوزه إلى ترك الأثر في المتلقى يجره إلى الاقتناع والعمل بمقتضى ما يقصد إليه المتكلم في النهاية.⁽³⁾

⁽¹⁾ كتب ومؤلفون، ص 252.

⁽²⁾ البيان والتبيين، 138/1.

⁽³⁾ حفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص 68 .

ملامح التداولية عند ابن جني (ت 392 هـ) : يقيم أبو الفتح بن جني ، بدءاً، فهمه للغة على مبدأ التواضع والاصطلاح، فهي لديه ذات صبغة عرفية اتفاقية، وهو ما جعله يفترض النقاء حكيمين يشعران بالحاجة إلى الإبانة عن الأشياء، فيعمدان إلى تسمية كل شيء بما يميزه عن غيره، ثم يتواضعان على ذلك، حتى إذا استقر الأمر عليه، أمكنهم توسيع اللغات انطلاقاً من الموضعية الأولى، والمهم أن مبدأ التواضع هذا يندرج ضمن ما تؤمن به التداولية إيماناً عميقاً.

ومما يندرج ضمن المفاهيم التداولية في درس ابن جني مراعاته لعنصر المقام والانتباه إلى خصوصيات المخاطب وضعاً ومستوى، فيقول: « وجوب أن يخاطب كل إنسان منهم [يعني المتكلمين والفقهاء و...]. بما يعتاده، ويأنس به، ليكون له سهم منه وحصة فيه »⁽¹⁾.

فلا شك أن التأثير إنما يتأتى بالنظر إلى اهتمامات المخاطب التي هي من فؤاده وعواطفه وقناعاته بصلة، بل وبالنظر إلى الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو من مبادئ دعا إليها الدرس اللغوي الحديث، خصوصاً ما اتصل منه باللغة على أنها تواصل اجتماعي، نشاط ينخرط فيه غير ما عنصر، والمستوى الاجتماعي من عناصر مختلفة فيه، يقول أوتو جسبرسن : « إن اللغة طبقية متعددة تختلف تبعاً لاختلاف طبقات المجتمع واختلاف مستوياته، وتبعاً لاختلاف مواطن قئاته وما تخضع له هذه المواطن من عوامل تؤثر في لغة ساكنيها، فكل محيط اجتماعي لغة تتناسب معه في مفرداتها وتعبيراتها وطرق نطقها »⁽²⁾.

⁽¹⁾ الخصائص، 1/67.

⁽²⁾ اللغة بين الفرد والمجتمع، ص 158.

والحقيقة أن خصائص ابن جني كثيرة ما كان ذا سبق في التأسيس لغير ما مبحث من مباحث اللغة، كحديثه عن الدور الفعال لرؤيه المتكلم أثناء عملية التواصل للاعتماد على كثير مما يرتسם على ملامحه في الوصول إلى المعاني والمقاصد، إذ كثيراً ما تشارك قسمات الوجه في تبليغ أحوال النفس وما يدور في الفؤاد، ولذلك قسم ابن جني الكلام إلى غائب وحاضر، وهو يعني الكلام المنقول عن العرب بالرواية، فجعل الحاضر ما بلغ إلينا من لفظه، وعد الغائب ما يقول عنه : « فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا شاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئاً أو استقالة ، وتقبله أو إنكاره، و الأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به ، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصد، بل الحالفة على ما في النفوس »⁽¹⁾.

ولم يفت ابن جني تقديم الدليل على كل ذلك فقال : « أولاً تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه، استعطفه ليقبل عليه، فيقول له : يا فلان، أين أنت، أرنى وجهك، أقبل علي أحذثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحده أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين، مجزئاً عنه

فسيبوبيه، مثلاً، يقيم وزناً لأهمية مراعاة طبيعة المتلقى وملابسات موقفه من الرسالة، ويوضح هذا من خلال تبريره لعدم استساغة العربية للابتداء بالنكرة، ذلك في قوله: « ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور، وليس هذا بالذى ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة »⁽¹⁾.

ويقدم الأستاذ عبد القادر حسن شرحاً لقول سيبويه بقوله: « المخاطب يريد أن يفهم، وأن يعرف شيئاً جديداً كان مجهولاً لديه، وعلى المتكلم أن يراعي هذه الحاجة، ويلبّيها له، ولن يتحقق أن يكون ^{للام} مدخل [كظا] من البلاغة، ومراعاة لمقتضى حال المخاطب، إلا إذا ابتدأ بالمعرفة، ولو أنه بدأ بنكرة، لخرج من دائرة الحسن، فضلاً عن أن يكون كلاماً مستقيماً »⁽²⁾.

وأما مراعاة مبدأ القصدية، وهو تداولي، فلها موقع تأخذه مصحوباً بعنابة في تراثنا العربي، فهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يروي لنا حواراً جمع الكسائي، وأبا يوسف القاضي، فيحدث على لسان الأول: « اجتمعت أنا وأبا يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو، فقلت : ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك، وقال له آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما تأخذ به ؟ قال: أخذهما جميعاً، فقال له هارون: أخطات فاستحى وقال : كيف ذلك ؟ قال: الذي يأخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتل غلامك بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد »⁽³⁾.

فال الأول صرح وأبان عن أنه قتل فاستحق الأخذ، أي العقاب، وأما الثاني فما فعل بعد، فليس يستقيم أخذه بما لم يفعل بعد، ومن ثمة توجب مراعاة مقصود

⁽¹⁾ الكتاب، 22/1.

⁽²⁾ لـثـر النـحـاة فـي الـحـثـ الـبـلـاغـيـ، صـ 3ـ.

⁽³⁾ المقتضـ، 3ـ 95ـ.

المتكلم حتى يعامل على نحو صحيح، وهذا ما نقف عليه عند فيتتجشتاين فيما بعد من خلال رؤيته للعلامة اللغوية على أنها (DAL) و (مدلول) و (قصد)⁽¹⁾. ولعبد القاهر الجرجاني يد طولى في رصد مبادئ ذات طابع تداولي من مثل الإشارة إلى دور المرسل.

ملامح التداولية عند الجرجاني:

يؤمن الجرجاني، هاهنا، بأن المرسل - وهو الشاعر في إجراءاته - ذو مسؤولية ثقيلة يتجمّس متابعيها، من خلال النظر في كيفيات تشكيل أدواته الإبلاغية على نحو يضمن نجاح وصول رسالته، يقول: « إن توفقت في حاجتك إليها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله فهل تشک في أن الشاعر الذي أداه إليك ... قد تحمل فيه المشقة الشديدة، وقطع فيه المشقة البعيدة، وأنه لم يصل إلى دره حتى غاص »⁽²⁾.

الإشارة إلى مبدأ القصدية : Intention

ليس يأتي إبلاغ ناجح إلا بضرورة وصول المقصود لدى المتلقي، إذ به يتحقق إدراكه، ومن ثم تأثره واستجابته، يقول : « ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع بها شيئاً لا يعلمه »⁽³⁾، وذلك كي لا يلتبس على المتلقي المعنى المقصود بغيره من معان قد تجاوره، فلابد، من ثم، أن ينتبه إلى ما هو في نية المتكلم إيصاله كي يبني عليه إدراك الرسالة.

وغير ذلك من العناصر التي تنتهي إلى الفلسفة التداولية، كأفكار تتصل بالمرسل، وأخرى بالمرسل إليه وثالثة بالرسالة ورابعة بالمقام وخامسة بالتأثير

(1) مينكو، المقاربة التداولية، ص 22.

(2) لسرار البلاغة، ص 123.

(3) دلائل الإعجاز، ص 375.

و... وليس ينبغي إغفال اندراج تلك الأفكار كلها في مفهوم النظم عند الجرجاني.

فمن باب التمثيل أن يكون مبدأ الأسلوب أو حكمة الأسلوب الداعية إلى ضرورة ترتيب الكلام⁽¹⁾ مسجلة داخل قول الجرجاني: « والألفاظ لاتفيق حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب »⁽²⁾.

وما إلى ذلك من مبادئ مكنت الجرجاني من أن يكون صاحب الجسم النهائي لمعرفة اللفظ والمعنى، مترجمًا ذلك في ركيائزه الكبرى لنظرية النظم:

- 1 النظم هو التأليف وسبيل التصوير والصياغة.
- 2 النظم ليس في الكلمة المفردة.
- 3 النظم ليس في اللفظ، أو في المعنى يستقل كل عن الآخر.
- 4 النظم هو التعليق.
- 5 النظم هو توخي معاني النحو⁽³⁾.

وأجد المبرر في اطراح التفصيل في التتفيق عن سمات التداولية في تراثنا العربي في أنه أمر أو مطلب يقتضي استقراء مطولا قد يقيم أطروحتات برمتها، فكيف بعقد النية على عرض أفكار يطلب إليها مجرد التدليل في حدود الأدنى - على اهتمام علمائنا بما له صلة بهذا التخصص الحديث، ولعله مما يعوض هذا التبرير ملاحظة الطبيعة الإنسانية أو الأخلاقية لبعض المبادئ التي تقضي بأن تخصها الأديان أو حتى الأعراف والآداب العامة بموضع فيها، فالتداولية من منطلق كونها حوارا أولى بالأديان والأعراف أن تقيد هذا السلوك الإنساني

⁽¹⁾ أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، ص 165.

⁽²⁾ أسرار البلاغة، ص 4، 5.

⁽³⁾ دكتور صالح بلعيد، نظرية النظم، ص 143.

طبعته بضوابط وأخلاقيات تتجه به نحو صورته المرضية المثلث، فمن ذلك وجوب النظر في مستوى المخاطب واهتماماته، وقد روي عن علي بن أبي طالب (ص) قوله : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم ».

بل إن الشاعر بشار بن برد توجه إلى جارية له تدعى رباباً بهذين البيتين اللذين عدا من ساقط شعره :

رباباً رببة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت
ولما خطب فيهما احتاج بأنهما - وبالنظر إلى مستواها التذوقى - أجمل	
عندما من (فقا نبك) رائعة امرئ القيس ^(١) .	

فليس من باب البدعة أن يقرر السكاكي بعد هذا ضرورة ملاحظة مقام المخاطب إذ يقول : « ^{كذا} ومقام الكلام مع الذكي يغلىر ^{غلى} مقام الكلام مع الغبي، ^{من} وكل ذلك مقتضى يغلىر ^{غلى} مقتضى الآخر »^(٢).

وليس من باب الإغراء، بعد هذا وذاك، أن ينزل محمد العمري السكاكي منزلة المعنتى به بشكل كبير لدى التداوليين المحدثين^(٣).

ومن منطلق اعتبار (الفعل الكلامي) مفهوماً مؤسساً على أنه كل قول أفضى إلى تأدية فعل ما كالأمر والاستفسار و... فإن أبحاث بلاغييناً القدماء في أساليب الخبر والإنشاء لتحيل على أن وجود الفكر التداولي وبالمفهوم الحديث أمر لا مدفع لأحد فيه، وليس يلزمـهـ إن رام اليقين إلا الاستقراء ثم المقارنة.

^(١) انظر: عبد الرحيم العباسـيـ، الأغانـيـ 3/156ـ وـمعاهـدـ التـصـيـصـ عـلـىـ شـوـادـ التـلـيـصـ، مـ295ـ/ـ1ـ.

^(٢) انظر مفتاح العلوم، ص 73.

^(٣) انظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 27.

مبادئ التداولية عند حازم القرطاجي (ت 684 هـ) :

إن الناظر في (منهاج) حازم ليعود منه بقناعة تجعله يعتبره من ذوي النصيب في الفكر التداولي، بالخصوصيات التراثية العربية، إذ أن أبحاثا له في كتابه ذاك تتصل بفائدة الكلام و(حصيلته)، والنظر إلى البنى النفسية للأنساق التواصلية وإمامه بمبدأ القصدية، والتفسير المنفعي المصلحي للعملية التخاطبية، واهتمامه بتبادل التأثير بين طرفي تلك العملية، إن أبحاثا له من هذا النوع لا تشير إلى غير تلك القناعة⁽¹⁾.

فهازم من المؤمنين بضرورة ترك الأثر في المتنقي ودعوته إلى الاستجابة لمقتضى طبيعة مقاصد الخطاب، يقول عن الشعر مثلا : « الشعر من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحببها إليها، ويكره إليها ما قصد تكريبه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه »⁽²⁾.

إنه يمكننا فهم ذلك الهرب الذي يعنيه حازم على أنه قريب من معنى ما يقوله ويتتجشتين : « وليس الهدف الأول للغة هو هدف الفهم والتمثيل، بل هو ممارسة لتأثير فعلى للواحد في الآخر »⁽³⁾.

بل يذهب حازم إلى التموضع السايكولوجي للمتنقي الذي يعمل على الاستجابة لمقتضى الخطاب، وهو ما يتحدث عنه تحت كلمة الاستعداد، أي أن تكون نفس المتنقي في جاهزية للتأثير، يقول : « والاستعداد بأن تكون للنفس حال وهو قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لذلك الحال والهوى »⁽⁴⁾.

كما ليس يفوت حازما النظر إلى مستوى المتنقي وطبيعته، وخصوصيات موقعه، ضمانا لاستجابته بإيجاب، وتحقيقا لمحصول الخطاب، إنه يقترح على

⁽¹⁾ يتحدث حازم في كل ذلك في سياق التقطير للخطاب الشعري فحسب.

⁽²⁾ حازم القرطاجي، منهاج البلاغاء، ص 71.

⁽³⁾ أرنوكو، المقاربة التداولية، ص 32.

⁽⁴⁾ حازم، منهاج البلاغاء، ص 121.

الشاعر المداح أن يخص كل فئة من الناس بما يلائمها من الأوصاف والنعوت، يقول: «ويجب أن يقصد في مدح صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحد ومن يراد تقريره ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها، وأن لا يجعل الشيء منها حلية لمن لا يستحقه»⁽¹⁾.

ونقف في في كلام حازم القرطاجي على ما يتصل بمبادئ تبادل بها التداوilyة اليوم، من مثل حمل الخطاب على مقصود المتكلم أو نيته وعدم صرفه إلى غيره، وعدم الاحتكام إلى قياس خطاب استعمل في موضوع، على آخر في موضوع آخر، يقول: «وعلى هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأن أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدرهم استعمالاً ما في شيء قاسوا على ذلك ما يرون أنه مماثل لذلك الشيء، وقد تكون بينهما مفارقة من وجہ أو وجہ فيغلطون في القياس وكذلك في كثير مما يتأنلونه عليهم»⁽²⁾ إن في هذا الكلام إحالة على أن المحتمل إليه في تعين المقصود هو المقام بمجموع محدداته.

ونجد حكمة من حكم غرايس تعبّر عن نفسها بلغة حازم أيضاً، ففي حين يدعو الأول إلى ضرورة ترتيب الكلام على نحو يضمن الإبلاغ، ومن ثم الإفهام ومنه إلى الإقناع، يقرر الثاني قائلاً: «العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص، فإن بدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة»⁽³⁾ وليس يخلو كتاب حازم من حديث عن مواضع الناس الضمنية على ضرورة توخي المنفعة في الكلام، إذ ليس لديهم من قبيل الكلام ما لا يتتوفر على فائدة، ذلك في قوله: «لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعاني التي

⁽¹⁾ حازم، المنهاج، ص 170.

⁽²⁾ م.ن، ص 180.

⁽³⁾ م.ن، ص 179.

احتاج الناس إلى تفاهمنا بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم البعض على تحصيل المنافع وإزاحة المضار واستفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه ⁽¹⁾.

وهو كلام يتوفّر على إدراك حازم لمبدأ التأثير المتبادل بين المتلقى والمرسل، وكل تلك نصوص منتخبة لتدلّ على مدى إمام أصحابها بالفكر التداولي، وهو مبحث أفضى الحديث فيه الأستاذ محمد أدیوان في «نظريّة المقاصد بين حازم القرطاجي ونظريّة الأفعال اللغوية المعاصرة».

⁽¹⁾ م. ن، ص344

الفصل الثاني

تصور أوستين وسورة

١-١- تصور أوستين Austin :

حاولت فلسفات سبقته أن تبني تصوراً لغويًا يغدو فعالاً في التعبير عن الكون من خلال تقسيمات وتصنيفات رأتها مقننة للنشاط اللغوي. هذه التقسيمات تمثل بشكل مباشر الفعل الكلامي، وإنه اجتهاد يرتد إلى فلاسفة الإغريق الذين عملوا على صياغة جهاز مقولاتي يعالج مشكلات الواقع آنذاك، وكل واقع لابد له من ذلك الجهاز، وهو ما يبرهن عليه تاريخ الفكر البشري، ولكن الإغريق انطلقوا من خصوصيات واقعهم، و الواقع يتحرك ويتغير، والتصنيف المقولاتي اللغوي ثابت، وهو أمر يحدث شرخاً وهوة بين الواقع وتوجهه الفكري وبين نمط التصور اللغوي فيه.

والإشكال الذي لاحظه أوستين Austin هو غياب مبررات البقاء على تصنيف فقد مبررات بقائه، أي تصنيف المناطقة الأرسطيين و السلوكيين، وتصنيفهم يقوم أساساً على أن اللغة هدف وغاية، وأن وظيفتها وصف العالم، بينما تفرض معطيات العصر الحاضر المتمثلة في هيمنة التوجّه النفعي القاضي بأن لا قيمة لشيء إلا بما يقدمه من مصلحة، ومن ثم اقتضى أوستين بوجوب إعادة النظر في صياغة التصور اللغوي بما يتلاءم وطبيعة هذا التوجّه المهيمن.

إننا هنا في حضرة الفلسفة، لأن التداولية أو البراغماتية اللسانية حملتنا على ذلك حملاء، فمن الدارسين من ذهب إلى أن التداولية اسم جديد لطريقة قديمة^(١). وقد تم التعرض في هذا القديم الإغريقي إلى تمييز الصيغ الخبرية عن الإنسانية، وجعلت سمة للتمييز فيما معيار الصدق والكذب، ولكنه تميّز لم ينج من سهام النقد وإعادة النظر بل والتمرد، انطلاقاً من الوقوف على جمل

^(١) طالب طبطباني، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ص 65. وانظر: حامد خليل ، المنطق البراغماتي عند بيرس، ص 51

غير خاضعة لذلك المعيار، ومن هنا انطلق أوستين، من خلال عدم إيمانه بثنائية الصدق والكذب هذه، فإن جملة مثل:

- أذنت لك بالدخول.

لهي جملة ذات نمط خاص يتآبى على ذلك المعيار، وآية ذلك أنها تتضمن إنجازاً لفعل مزامن للتلفظ بها، فعندما أقول:

- إني أتمنى الإقامة المريحة لكم.

فإنني: أتلفظ + أجز فعل التمني فوراً.

إن أوستين يسمى هذا النمط الخاص : الأفعال الإنسانية⁽¹⁾ وإن تمييزه لهذا الصنف الخاص من الجمل قد غدا «فلسفة عامة للغة تجد تطبيقات هامة بها في اللسانيات»⁽²⁾.

إن التقسيم الذي ثار ضده أوستين، والذي فرضه المنطق الأرسطي لردح من الزمن غير قليل، هو تقسيم تصفه بعض الدراسات بأنه كان وهمًا، وبأنه كان من مهازل الفلاسفة السلوكيين الذين عدوا اللغة سلوكاً لغوياً شرطياً، فابتعدوا بها عن عمليتها الحياتية فقتلوا بذلك وظيفتها الحقيقة⁽³⁾.

ومن ثم، فإن إسهام أوستين مظهره تفريع الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى:

1- وصفية Constative: تقدم صورة عن حدث تم القيام به دون ارتباط بإنجاز فعلي ما.

⁽¹⁾ مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

⁽²⁾ نظرية الأفعال الكلامية، ص 65.

⁽³⁾ Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P135

-2 إنسانية Performative : لا تعمل على تقديم صورة أو سرد أو وصف الواقع ما فلا تقبل من هنا - تكذيبا ولا تصديقا، وهي جمل يقع التلفظ بها موقع القيام بجزء من العمل، بل هو العمل عينه⁽¹⁾.

وإنه عمل يقدم إضافة أوستينية لمفهوم الجملة الخبرية التي شتملت على قسمين : وصفيات يراد بها الوصف، وأخرى يراد بها الفعل، كما قدم للنمطين المنشقين عن الجملة الخبرية معيارين للتمييز يفصل بينهما، هما (صائبة) أو (خائبة)⁽²⁾.

ولكن تقسيم أوستين جعل مفهوم الصدق والكذب لا يعثور بعض الجمل التي صنفها على اعتبار الصواب والخيئة ذاك، فشعر بضرورة التمييز من جديد، فخرج بإمكان التمييز بين ثلاثة أفعال:

1. فعل القول: كل ألفاظ أطلقت على نحو سليم قواعديا، يتضمن معنى، وهذا متحقق دائما.

2. فعل متضمن في القول: وهو محل بحثه.

3. فعل ناتج عن القول: وهو ما يجر الفعل إلى إنجازه.

إن المتأمل في أفعال أوستين الإنسانية، ليقف على مجموعة من المحددات مثل:

⁽¹⁾ نظرية الأفعال الكلامية، ص 66. وانظر: Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine. P135.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 66. وانظر: Catherine Orecchioni , La conversation, P74

1- الفاعل فيها دائماً هو المتكلم.

2- زمن الفعل هو المضارع دائماً⁽¹⁾.

ولم يغفل أوستين وسائل أخرى لها خطرها، تصاحب أفعاله هذه التي أنتبه إلى أنها لا تقدم الأداة الكافية الكفيلة بضمان التواصل الكلامي كالنغمة والإيماءات وحركات المتكلم وحال الحديث⁽²⁾.

هذا، ولقد بلغ التركيز على (أن أتلفظ = أجز فعلاً) بأوستين إلى أفراد (Quand dire, c'est faire) (عندما يعني القول الفعل).

الفعل اللغوي عند أوستين :

إن الفعل اللغوي عنده جامع لعدة أفعال، هي ثلاثة في مجلتها:

- 1 فعل القول locutionnaire: ويتفرع إلى عدة جوانب.
- 2 إنشائي illocutionnaire : والمتمثل في إنجاز عمل ما.
- 3 تأثيري locutionnaire: وهو ما يعمل على إحداث رد فعل لدى المخاطب⁽³⁾.

ثم خلص أوستين إلى الوصول إلى تقسيم جميع أفعاله إلى خمسة فصائل كبرى:

1. حكميات: (Verdictives) وتتضمن إطلاق أحكام أو قيم على واقع ما، مثل: برأ، قيم، حسب، وصف، صنف، أرخ ...

2. الإنفاذيات أو التمرسية: (Exercitives) وتدل على استعمال الحق أو القوة أو النفوذ، مثل: أمر، نهي، وجه، عين، ...

⁽¹⁾ Jacques MOESCHLIER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P 135.

⁽²⁾ مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 23

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 24 وانظر: P137.

3.الوعديات أو التكليف: (Commissives) وتتضمن إفصاحاً عن نية ما، أو إلزام للنفس بتقديم وعد ما، مثل: وعد، نذر، راهن، أقسم، عقد، ...

4.السلوكيات: (Behabitives) وتتضمن إظهاراً لحالات نفسية تجاه ما يحدث، أو تعكس سلوكيات اجتماعية، مثل: اعتذر، شكر، هنا، عزى، هجا، مدح، ...

5.التبينيات أو العرضية: (Expositives) وهي تعكس صلة أحاديثنا بما نتحدث عنه بالمحاججة، مثل: أثبتت، أكد، أنكر، أجب، مثل،...⁽¹⁾

إن تقسيم أوستين ووظائف بوهлер الموطئة لياكوبسون وألعاب فيتجشتاين كلها لم تكن ليغفلها د/محمد مفتاح وهو يتحدث تحت عنوان التفاعل ليدلل عبرها على التأثير المتبادل بين الإلقاء والتلقى في خضم حياة حركية، الأمر الذي جعله يقترح للتداولية تعريفاً إجرائياً كالتالي: «التأثير المتبادل بين مرسل ومتلقى في حالة حضور أو غياب باستعمال للأدلة اللغوية، مطابق لمقتضى المقام والمقال»⁽²⁾.

كما نقف لدى محمد أدبيان على تعريف للفعل اللغوي الأوستيني، إذ يقول : «تكلم لغة ما أو التحدث بها يعني تحقيق أفعال لغوية، ومنها أفعال تصلح للتأكيد على أشياء Affirmations أو إعطاء أوامر ordres أو إثارة أسئلة Interrogations أو القيام بوعود Promesses أو غير ذلك من الأفعال اللغوية»⁽³⁾.

والذي يجب الانتباه إليه هو مراعاته مقصد المتكلم، خصوصاً إذا لم تكن صيغة الفعل اللغوي لا تحيل بشكل مباشر على نوع محتواها المضموني، والبحث في المقاصد تمنحه التداولية الكثيرة من اهتمامها، إذ بمراعاتها يتحقق التواصل

⁽¹⁾ أرمينكو ، نظرية الأفعال الكلامية، طالب طيطباني، ص 67. والمقاربة التداولية، ص 83.

⁽²⁾ تحليل الخطاب الشعري، ص 138.

⁽³⁾ محمد أدبيان، نظرية المقاصد بين حازم و القرطاجمي ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، ص 39.

الناجح، ومن ثم، يتحقق الهدف النهائي المتمثل في المنفعة من صياغة الفعل اللغوي رأساً، والمنفعة ليست غير (الأثر) الذي يفترض أن يتركه كل حطاب ناجح.

ولعل فرانسواز أرمينكو تكون صاحبة فضل في اختزالها التعبير عن قائمة أصناف أوستين، والتي أطلق عليها اسم لائحة، لتنقول - بعد أن أكدت على ريادة أوستين - : « وهذه اللائحة تشتمل على: أكد ووضع سؤالاً، وأعطى أمراً، ووصف، واعتذر، وهدد وترجى، وتحدى ورخص »⁽¹⁾.

ومن هنا تبرهن أرمينكو على أنها أدركت بناء أوستين لتقسيمه للأفعال على قاعدة مراعاة العلاقة بين العلامات ومؤوليهما، فعمل أوستين ينتمي إلى أصول المدرسة التخاطبية التي جاءت دراسات أصحابها « نتيجة طبيعية لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتalking في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب ويمكن تلخيص أوجه الإخفاق فيه في أنه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصبح عملية التخاطب بطبع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج عن المواقف اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ، وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة مقاصد المتكلمين »⁽²⁾.

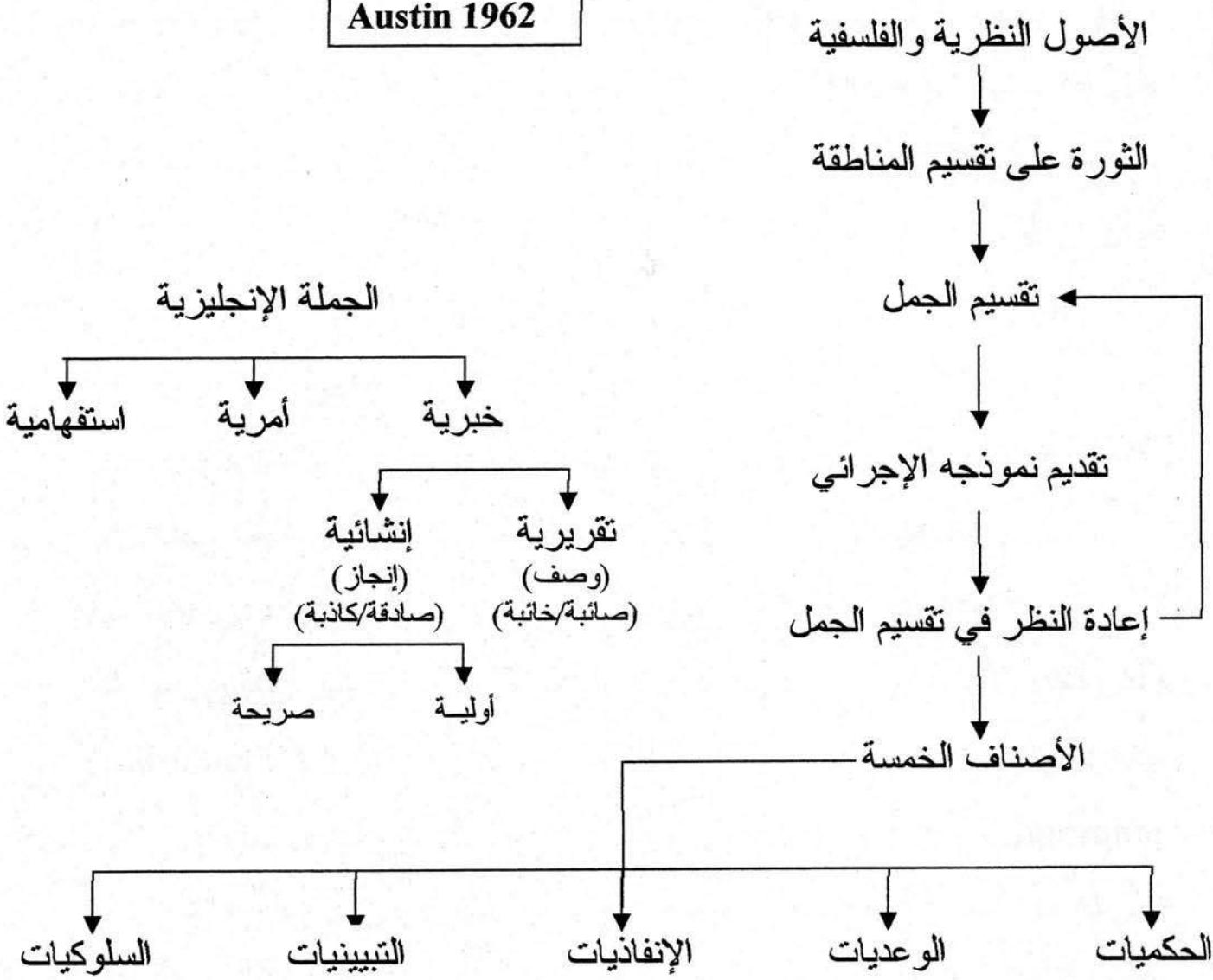
وهذا ما أجمع الكثير من الدارسين عليه، أي رفض إقصاء عناصر لها أهميتها، ولا يستساغ اطرافها كالسياق، ومراعاة ما تفرضه المواقف اللغوية والمقاصد.

⁽¹⁾ فرانسواز أرمينكو، المقارنة التداولية، ص 80.

⁽²⁾ أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، ص 164.

خطاطة لتوضيح عمل أوستين

Austin 1962



٢-١ سورل : Searle

سعى هذا اللساني إلى أن يشكل الرؤية التداولية تشكيلاً يخالف فيه أستاذه أوستين، ويعتمد عليه في الوقت نفسه، يخالفه بمقتضى ملاحظته لتقسيم أوستين على أنه مظنة للتدخل، فكثير من أفعاله يمكنها أن تدرج ضمن تصنيفين، ولم يفت سورل الكشف عن مبررات اتهام أستاذه بعدم الدقة المفضية إلى التداخل، فرأى أن أوستين :

- ١ - لم ينظر إلى الأفعال في ذاتها، وإنما إلى ألفاظها.
 - ٢ - لم ينتبه إلى أن الفعلين المختلفين في اللفظ غير المترادفين لا يحيلان بالضرورة على متضمنين مختلفين، إذ الاحتكام إلى الظاهر في الفعلين (أعلن) و(أمر) قد يفضي إلى أنهما مختلفان، ولكنهما قد يتساويان إذا لوحظ أنه يمكن القول: أعلن فلان أمرا^(١).
- ولكن تجدر الإشارة إلى أن من المراجع من يجعل موت أوستين المفاجئ هو ما حال دون إتمامه عمله في الأفعال اللغوية، جاء في : "Introduction à la linguistique contemporaine" : « إن موت أوستين هو السبب في خلو نظريته من بعض مظاهر الكمال، لذا أتيح الأمر لجون سورل بعده لتكامله بناء هذه النظرية »^(٢)

وقد كان لتكوين سورل ذي الطابع الفلسفى العقلى حضور في ذلك التشكيل، ويتجلى ذلك من خلال محاولة لرسم حدود للنظرية التداولية تجعلها تدنو من اللغات الاصطناعية، وقد أدته قناعته إلى أن التنظير للسلوك اللغوي لا يمكن له أن يقدم نفسه إلا على أنه نظرية في (ال فعل) (Acte).

^(١) انظر: طالب طبطباني ، نظرية الأفعال الكلامية ، ص 71

^(٢) Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P137.

تشكيل سورل للرؤية التداولية: يتحرك سورل في تشكيل رؤيته تحت عنوان (القول هو العمل)، وهو المبدأ الذي حمله على ما يسمى (تحليل الفعل الكلامي) فميز بين:

- مفهوم فعل القول: على أنه فعل التعبير عن القضية المراد إبلاغها.
- مفهوم الفعل المتضمن في القول: على أنه القضية عينها المراد إبلاغها، معبرا عنها بفعل القول.

ولكنه اشترط شروطاً يجب توفيرها في القضية كي ينجح الإبلاغ، وفعل القول رأساً أحد هذه الشروط، ومن ثمة سمي سورل مجموع هذه الشروط (القوة)⁽¹⁾، ويمكن أن يسمى كل شرط، على حدة، قوة وعلى سبيل التوسيع، وإن لم يكن كافياً لإنجاح القضية، وطالما كان فعل القول شرطاً من شروط تكتمل بها القوة المخبوعة فيه أو (المتضمنة في القول) فإنه بذلك سمع كل كلام مفيد - يغدو محتوى في القوة المضمنة فيه رأساً، وهذه القوة متضمنة في القول، ومن هنا عبر سورل تعبيره الشهير: إن السعي إلى تجريد المعنى القولي من القوة المتضمنة في القول هو سعي إلى تجريد الرجال غير المتزوجين من العذاب⁽²⁾. وعليه، لا تكتسب كل جملة صفة (مفيدة) حتى تحيل على توافر كل تلك الشروط ومنها القوى، فأيما جملة أكتفي بتلفظها حرفاً، وقوفاً عند التلفظ فإنها تحيل على قوة واحدة فقط هي الفعل القولي.

(1) Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P138.& Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p781.

(2) طالب طبطباني، نظرية الأفعال الكلامية، ص 67.

ويبرهن سورل على أن (فعل القول) وحده غير كاف لتمييز المقصود من جملة (أفعال متضمنة في القول) محتملة بهذا المثال .

1 - سوف آتي .

2 - سوف آتي .

إن لـ (1) و (2) فعل قولي واحد، ولكن (1) قد تحيل على : أخبرك بإثباتي و (2) قد تحيل على : أعدك بإثباتي ، ومن هنا وجب تدخل محددات سياقية ، وهذا ما حمل سورل على التمييز بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى السياقي ، إذ ليست تحقق الجملتان (1) و (2) توأصليتها في لحظة التوقف عند المعنى الحرفي في السياق الصفري ⁽¹⁾ وعليه ، فقد نجح سورل في التفريق بين الدلالة والتداويمية . من هنا تكتسب رؤية سورل شرعيتها من مبدأ اشتراطه قوى أخرى تتأيد بها القضية كي تتجه في التواصل ، ومن ثم تكون (مفيدة) .

ويرهن سورل اجتماع القوى بسمتين لابد منهما ، وهما : اللزوم والكافية ، إذ قد يكون الشرط لازما ، ولكنه غير كاف منفردا ، إن هذه الشروط يسميها غراسيس (قواعد المحادثة) وديкро (قوانين الخطاب) .

شروط سورل : يضمن سورل هذه الشروط كتابا له ، ألفه بالاشتراك مع زميله فاندرفكن عنوانه : (أسس منطق المتضمنات في القول) :

1 - **الغرض المتضمن في القول :** يتبعين على كل (متضمن في القول) أن يتتوفر على غرض وغاية ، ويرى سورل أن شرط الغرض أهم قواد ، لكنه غير كاف لأن ثمة (متضمنات في القول) قد تشارك في الغرض الواحد ، ولكن هناك محددات أخرى قد تفرق بينهما مثل : أنكر / نفي ، اللذين قد يشتركان في الغرض

⁽¹⁾ نظر : آرمنيكو ، المقاربة التداولية ، ص 75

الواحد بدليل اعتبارهما متزلفين، إذ أن من كان غرضه الإنكار كان غرضه النفي، ولكن ذلك قد لا يثبت أمام محدد يضاف إليهما، ليكشف أن في (أنكر) ما ليس في (نفي).

2- درجة الشدة للغرض المتضمن في القول:

قد يتحد (متضمنان في القول) في كل الشروط، ولكن فارقا يفرق بينهما بجلاء هو قوة الضغط فيه، أي حدة ودرجة الكشف عن الغرض فأولى بـ: (والله إني أحب العلم)

أن يتتوفر على ما ليس في: (إني أحب العلم)

3- نمط الإنجاز: هو ما يتحدث عنه د/محمد محمد مفتاح تحت عنوان (الشروط التحضيرية)، ومعناه أن ثمة ملابسات ومقتضيات قد تفصل بين (المتضمنات في القول) المتساوية في (فعل القول) فاللواء الذي يأمر رقيبا بأمر ما، فأمره يستند إلى مقتضى الموقع السلطوي، وإن صدر الأمر عينه من الرقيب إلى اللواء، فقد يحمل على التوسل مثلاً، أو لمقتضى إنساني بحث، أما الإلزام فيه فغير وارد ^{الآية}.

4- شروط المحتوى القضوي: نعبر عن هذا بضرورة توفر شروط تعمل على ربط (فعل القضية) بالقضية المراد نجاحها، وذلك من مثل شرط أن يكون الموعود به في فعل الوعد مستقبلاً، إذ لا ينجح تداولياً فعل لغوي مثل :

- أعدك أني سأساعدك أمس

5- الشروط المعدة: ويسمى بها سورل (مفترضات القوة المتضمنة في القول) ويمكن التعبير عنها في ضرورة أن يكون المعتبر عنه إما صحيحاً وإما فاسداً، فالاعتذار عما هو حسن مثلاً فاسداً، نحو: أعتذر عن شرحني الدرس جيداً.

⁽¹⁾ تحليل الخطاب الشعري، ص 141

إذ الاعتذار يحيلنا على أن الأمر المعتذر عنه أمر سيء، وهذا من شروط المحتوى القصوي.

6- **شرط الصراحة:** وهذا الشرط يتبع فهمه بوجوب النظر في ضرورة توفر المتكلم على حالة نفسية مطابقة لما يعبر عنه، فالذي يسأل من الضروري أن يتتوفر على نفسية انتظار الجواب، ومن يأمر فإنه يتوقع تنفيذاً، ولكن ثمة إشكالاً ينشأ في حالة الكذب، أي عندما يعبر المتكلم عن نفسية لا يتتوفر عليها.

7- **درجة القوة في شرط الصراحة:** وهذه ينسحب عليها ما ينسحب على شرط شدة الغرض، وأعيد أيضاً أنه حري بـ:

- أرجوك امنحي نقوداً.

أن يتتوفر على ما ليس في:

- امنحي نقوداً.

فإنه إن يكن الثاني تسولاً فإن الأول إلحاد⁽¹⁾.

- وصول سورل إلى تقسيمه:

تأسساً على ذلك كله، يعن لسورل أنه قد تأهل لنسخ تقسيم أوستين وأصنافه بديله الناسخ:

1- **التقريريات:** (*Assertives*): وغرضها التقرير وشرط محتوياتها القصوية أن يوفر المتكلم في كلامه شواهد على صدق ما يقرره وأما إن تعلق الأمر بالتقريريات السيكولوجية فهو الاعتقاد الشخصي للمتكلم.

2- **الوعديات:** (*Commissives*): وغرضها الوعد طبعاً، وشرط محتوياتها القصوية هو أن يكون الموعود به مستقبلاً، والقدرة على الوفاء.

⁽¹⁾ Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P138/139.

3- الأمريات: (**Directives**): وغرضها طلب القيام بفعل ما، وشرط محتواها القصوي، ان يكون المأمور به مستقبلاً - وهو ما لقى فيه سورل إشكالاً في التقرير بينها وبين الوعديات ولكنه اهتدى إليه - وكذلك قدرة المطلوب على تحقيق ما طلب منه.

4- الإيقاعيات: (**Expressives**): وغرضها إحداث تغيير في العالم وشرط محتواها الحدوث الفعلي في الواقع.

5- البوحيات: (**Béhabitif**): وغرضها الإفصاح عن حالة نفسية ما، وليس للبوحيات شروط قصوية لأنها مرتبطة بنفسية المتكلم، إلا أن يقال لابد من توافر أسباب خلقت الجو النفسي سلفاً أي قبل البوح به.

وأما عن صلة المحتويات القصوية بالعالم، فتظهر من خلال طرق أربعة:

-1 اتجاه المطابقة من القول إلى العالم

-2 اتجاه المطابقة من العالم إلى القول

-3 اتجاه المطابقة المزدوج

-4 اتجاه المطابقة الفارغ

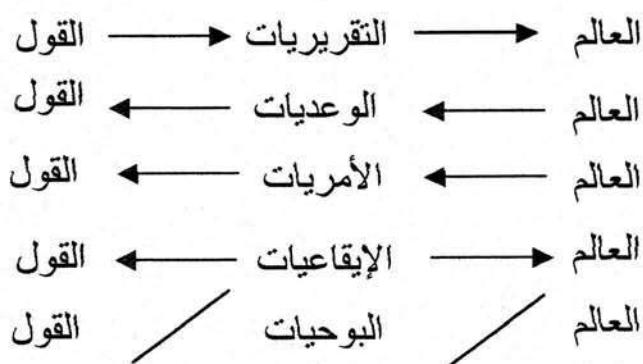
وكل صنف من الأصناف الخمسة التي استقر عليها تقسيم سورل، المشكل لرؤيته، يتموضع داخل اتجاه من الأربعة:

-1 التقريريات: اتجاه المطابقة من القول إلى العالم

-2 الوعديات: اتجاه المطابقة من العالم إلى القول.

- 3 الأمريات: اتجاه المطابقة من العالم إلى القول
- 4 الإيقاعيات: اتجاه المطابقة مزدوج
- 5 البوحيات: اتجاه المطابقة هو الاتجاه الفارغ.

- وهذه خطاطة لكل ذلك:

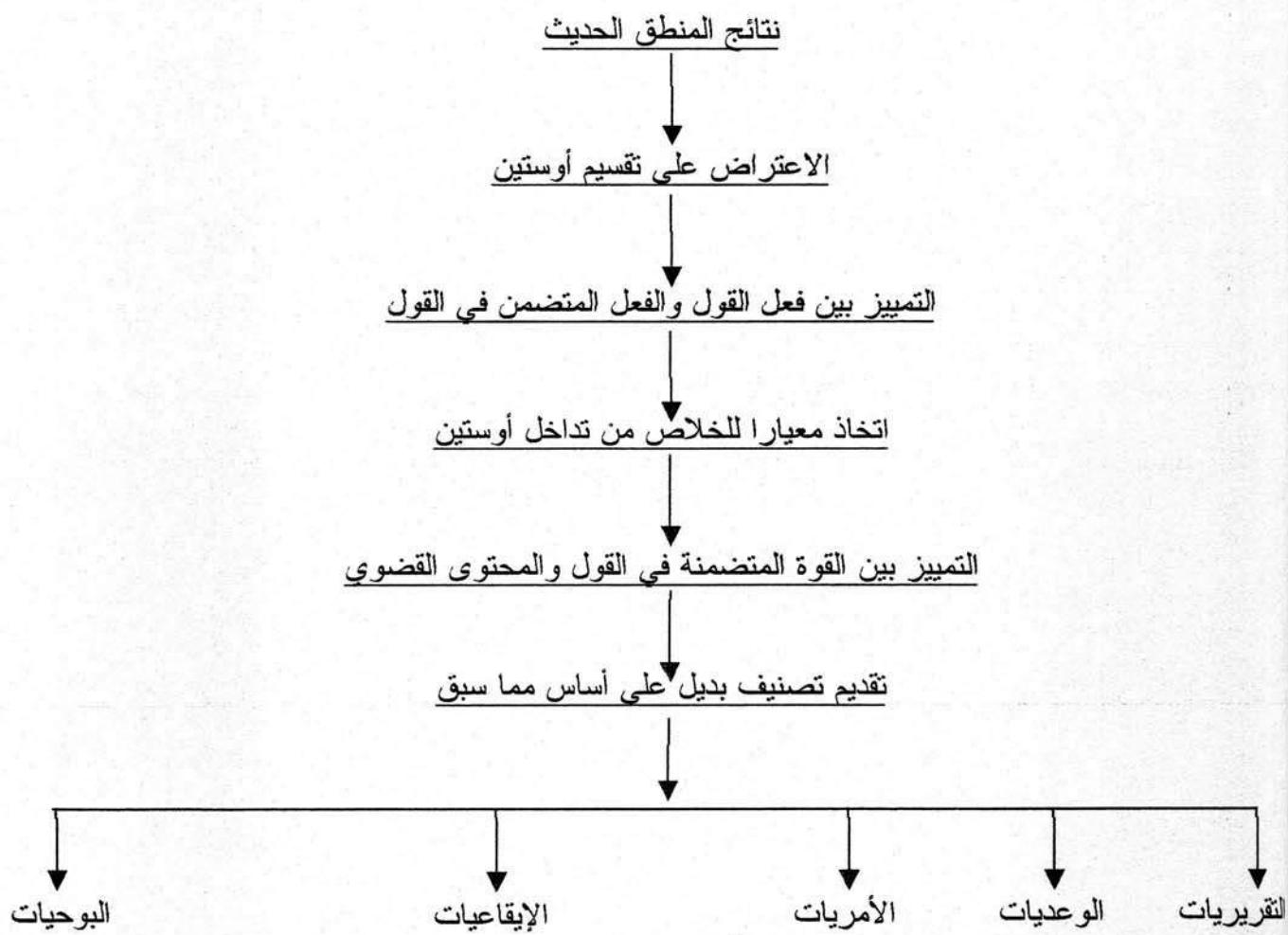


و تجدر الإشارة إلى اختلاف المراجع في المصطلحات الفرنسية وذلك راجع إلى انتسابها إلى مدرستين مختلفتين هما الفرنسية والأنجلوسكسونية.

وأقدر أن في هذه الخطاطة تبيانا لأهم ما تم التعرض له في الفصل

الثاني:

خطاطة لتوضيح عمل سيرل 1969 Searle



الفصل الثالث

التحليل الإجرائي للأربعين الشامية
وفق منهجي أوستين وسورل

1. وفق تقسيم أوستين:

* **توطئة:** يعتبر أوستين تداوليا إجرائيا، يشار إلى نظريته في تقسيم الأفعال الكلامية على أنها من أقرب الرؤى إلى التناول العملي القابل للتنفيذ، وآية ذلك أنه سعى إلى رصف ورصد أفعال تنتهي إلى الاستعمال العرفي تحت تسميات تمييزية (حكميات، سلوكيات،..)

وإن لم ينج تقسيمه هذا من تناول نقي من قبل تلميذه سورل بعده، بمقتضى ما لاحظه من تداخل بين تلك الأصناف أو الأنماط.

يعمد أوستين إلى تقسيم الأفعال إلى إنسانية وأخرى خبرية، ثم يركز نظره على التقسيم الثاني ليجد أن المتحكم فيه معيار الصدق والكذب، ولكنه لا يبرهن على معياريته دائما، فثمة جمل خبرية الصيغة لا تخضع لهذا المعيار من مثل:
- قد عفوت عنك.

فالصيغة خبر، لكنها لا تقبل تصديقا ولا تكذيبا لكونها تحمل داخلها قياما بفعل لحظة النطق بها، فمن نطق بها فقد عفا أنا، وقد كان منطلق أوستين أمران:

1- التمرد ضد التقسيم التقليدي الموروث عن المناطقة القدامى.

2- الانطلاق من التقسيم الإنجليزي للجمل على أنها:

- خبرية.

- أمرية.

- استفهامية.

ويسمى أوستين هذه الجمل المتضمنة لأداءات فعلية مؤداة مع القول (جمل إنسانية). وقد لاحظ أن الجمل الإنسانية الإنجليزية على سماتي:

- توفرها على فعل ذي صيغة مضارعة.

- إسنادها للفعل إلى ضمير المتكلم المفرد.

كما لم يفته ملاحظة أفعال قد لا تتوافر على السمتين لكنهما تدرجان ضمن الأفعال الإنسانية من مثل:

- عفوا.

- شكرًا.

- عذرا.

وهذه الملاحظة افترت عن تقسيمه لهذه الأفعال إلى:

- إنسانية أولية.

- إنسانية صريحة.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى أن ثمة ما قد يحسب لأوستين في تصوره وهو اعتبار الفعل الكلامي أصغر وحدة في بنية اللغة لا الجملة، فكل كلام أفضى إلى إنجاز فعل ما فهو فعل كلامي، ومن ثمة تتحقق وظيفة اللغة من خلال تأديتها إلى تحقيق أفعال^(١).

أولاً : الحكميات في الأربعين الشحامية:

إنها نمط من أنماط أوستين الخمسة، وتشير إلى كل فعل تضمن حكماً أو إطلاق قيمة على واقع ما، ففي قول راوي الحديث مثلاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قام بفعل القول، وفي قوله (ص) : « أفلح إن صدق » فعل كلامي حكمي يتضمن منح قيمة المفلح لمن تحقق معه شرط الصدق.

وبناء على أن الفعل هو نواة الكلامية، ونظراً لاتسامه بالتحول الزمني بين ماض وحاضر ومستقبل، فإنه يمنح حركيّة للحدث، ومن ثم فإن تركيزي

^(١) انظر: أرمنكو، المقاربة التداولية، ص 80.

عليه سيكون ملحوظاً إن وقفت إلى ذلك - في أثناء العمل التحليلي الذي خططت له أن يكون على هذا النحو:

1- أنتخب من الأحاديث ما أقدر أن في نصه أكثر استجابة لتحليل تداولي أكثر عمقاً، مع ترك بعضها لأندرجها ضمن السابقة.

2- أعرض نص الحديث كاملاً.

3- أرصد ما فيه من أفعال تنتمي إلى الصنف المتعامل معه.

4- أسعى إلى تبرير اعتماد أفعال الصنف دون غيرها أو غلبتها على غيرها.

5- أسعى إلى الكشف عن المقتضيات الجمالية للجمل والأساليب⁽¹⁾.

الحديث الثالث:

عن عثمان بن عفان (رض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سمحاً بائعاً، ومشترياً، وقاضياً، ومتقتضاياً»⁽²⁾.

ال فعل	عدد	زمن الفعل
//	00	المضارعة
أدخل، كان	02	الماضية
//	00	الأمرية

وفي الحديث فعلان (أدخل، كان) وكلاهما ماض، وفيهما حكم على من تحلى بالخصلة الواردة فيه في جميع تلك الأحوال، بأنه من أهل الجنة، وقد جاء الفعل (أدخل) ماضياً لتعجيل الجزاء لذى السماحة وتحقيقه حتى لكانه دخل الجنة

⁽¹⁾ الدكتور عز الدين علي السيد، الحديث النبوى من الوجه البلاعية، ص 389.

⁽²⁾ أربعون حديثاً، ص 28. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (1/58-70)، والبخاري في التاريخ الكبير (2/467).

من دون ريب، فالحديث قد ينزل منزلة قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾⁽¹⁾ فالساعة التي تضامت أشراطها وتواترت أصبحت في حكم ما أتى لا ما سيأتي، فكذلك من قد اتضح فيه خلق السماحة في تلك المقامات فقد استحق الجنة وصار في حكم من دخلها لا من سيدخلها، وفي ذلك تحقيق لعنصر التأثير وبعث اليقين في نفوس العابدين من الحصول على الجزاء، ويدرسه المعتون بالحديث بلاغيا في باب (الترغيب بالوعد)⁽²⁾.

وقد يحمل جريان الفعل (أدخل) على المضي لاعتبار معنى الدعاء فيه، وهو من باب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، فيه يقين باستجابة الله من أنه سيدخله حتى لكانه دخلها، يقول الدكتور عز الدين علي السيد: «ونرى الطلب في البيان النبوى بصيغة الماضي، إشعاراً وتفاؤلاً أو إنذاراً بتحقق المطلوب كأنه قد وقع، وأكثر ما يكون ذلك في صيغ الدعاء ترغيباً أو ترهيباً»⁽³⁾.

والجملة (أدخل الله الجنة) فعلية تقريرية، ترمي إلى تحقيق المعنى في الذهن، وفيها إيجاز رائع، زاده إسقاط حرف التعدية جمالاً، إذ لم يقل: «أدخل الله إلى الجنة أو فيها» فعدى الفعل بالنفس لا بالحرف تعجيلاً بالجزاء الجميل وإسراعاً للنفس بالخبر لتحقيق مبدأ التأثير من خلال الترغيب في التخلق بما يدعوا إليه الحديث.

والفعل (كان) محدود المتعلق فلم يقل (كان في الدنيا) مثلاً، للدلالة عليه والإطلاق الزمان ليشمل كل الأحوال الدنيوية وموافقتها.

ونجد الاسم ذا نصيب في الحديث (قاضياً، مقتضاياً، بائعاً، مشتراياً) وكلها أسماء فاعلين، وفيها معنى الديمومة أي الثبات على الخلق والتمسك به دون تلون، لذلك يسمى الكوفيون اسم الفاعل فعلاً دائماً أي غير محدد بزمان ووقت.

⁽¹⁾ سورة النحل، 01

⁽²⁾ الدكتور عز الدين علي السيد، الحديث النبوى من الوجه البلاغى، ص 389.

⁽³⁾ الحديث النبوى من الوجه البلاغى، ص 355.

وهنا يظهر مبدأ المقصدية التداولي، فالثبات على السماحة في كل تلك الأحوال هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم ومراده، فاصطفي لمراده ما يدل عليه، عنيت الفعل الدائم المستمر في الثبات، إذ ليس يتحقق دخول الجنة فيما لو التزم الرجل بالسماحة في حال دون حال.

الحديث الخامس:

عن مالك بن أنس، عن أبي سهل، عن أبيه، قال: سمعت طلحة بن عبيد الله يقول: « جاء رجل من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل رسول الله صلی الله عليه وسلم عن الإسلام، فقال: خمس صلوات في يوم وليلة، قال هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: وصيام شهر رمضان قال: هل على غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: وذكر له رسول الله صلی الله عليه وسلم الزكاة قال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: أفلح إن صدق »⁽¹⁾.

الافتراض	عدد	زمن الفعل
نسمع، نفقه، يقول، يسأل، تطوع (3 مرات)، أزيد، أنقص	09	المضارعة
جاء، دنا، قال (12مرة)، ذكر، أدبر، أفلح، صدق	18	الماضية
//	00	الأمرية

(1) ربعون حديثاً، ص 34 والحديث صحيح، أخرجه أحمد (162/1)، والبخاري (46/2678 فتح).

وحكمة الحديث:

- جاء رجل.
- نسمع دوي صوته.
- نفقه ما يقول.
- يقول.
- حتى دنا.
- هو يسأل.
- فقال.
- تطوع.
- وذكر له رسول الله.
- فأدبر الرجل.
- أزيد على هذا.
- أنقص منه.
- أفلح إن صدق.
- يحتل الفعل المضارع المرتبة الأولى في الحديث، فهو سبعة أفعال (نسمع، نفقه، يقول، يسأل، تطوع، أزيد، أنقص) والمضارع دال على الحال والاستقبال فهو أكثر اتساعاً من الأمر مثلاً، وفيه نقل للسامع إلى مقام الحديث، فيستقبله على أنه حدث كأنه مشارك فيه، وفيه دعوة للمتلقي لأن يشارك بحواسه في صنع الحديث، فنحن ما سمعنا وانقضى الأمر، مما قد يخلق مسافة زمنية بين الحديث ومتلقيه، وإنما نحن (نسمع دوي صوته)، وأنت تسمع معنا -أيتها المتلقي- الآن، وتکاد تستشعر في أذنيك دوي صوته، فتتغمس في الموقف

وتشغل بهذا الدوي الآخذ في الدنو حتى تقطع استرسال انشغالك (إذا) الفجائيه

اتجاه من المهمة ستفوز فدائى لاسته المهمة ألم امائى فمم ٠ (إلا ملهمة اشتراط)

إن من سيعتصم، وصح القصد منه بذلك -فإن الله تعالى سيعاجله بالجزاء الطيب قبل الشروع في عمله، فالهداية لن تقع بل قد وقعت وانقضى الأمر، وفي الماضي دلالة على تحقيق المعاني وتقريرها في النفس، فإلى أي مدى كان الرجل مؤديا مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل فكر في أن لا يخاطب المصطفى حتى يدنو؟ بل قد دنا وقضى الأمر، وفيه معنى تداولي رائع يتجلّى في الشهادة للرجل بأنه (دنا) أي أنه ما استهل أسئلته حتى تحقق من إمكان سماع النبي صلى الله عليه وسلم له، ونسجل غيابا لفعل الأمر في الحديث، وفي ذلك ملمح تداولي آخر، إذ في الأمر قرع للنفس بما لم تأنس بمعرفته بعد، وإشعار لها بالإلزام قبل اكتمال الدراءة، فلا أمر لمن لم يبد جاهزية بعد، والرجل كان بعيدا عن مقام التعريف بهذه المسائل فهو يقطن عمق الصحراء، إنه من أهل نجد، ونجد تتوسط أرض الجزيرة بين الحجاز وصحراء النفوذ، فيسجل النبي صلى الله عليه وسلم مراعاته لمبدأ مقام المتنقي ومستواه، ويشير الدكتور أحمد محمد العليمي إلى براعة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يسميه (الخبرة بالنفوس) فيقول: «كان صلى الله عليه وسلم يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين والسائلين، فيعطي كل واحد حسب حالته، ومدى استيعابه، ومن المبادئ الأساسية أن الناس غير متساوين، وغير متجانسين في العمر، والقدرة، والخلفية الثقافية، والاهتمامات، والجنس، والبيئة، والمستويات الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من عوامل التأثير، فكان يراعي ذلك كله»⁽¹⁾. فمراعاة المستوى متحققة، والنظر إلى البيئة متحقق أيضا فالرجل ثائر الرأس بما يشير إلى كثرة الضرب في الأرض، وهو من نجد أي أن للترحال حضوره في حياته، فهو غير مدني قار، وطلب الرزق يحمله على كثرة الأسفار، وكذا طلب التفقه في الدين، والمدينة بعيدة عنه، وكل ذلك ليس يتحقق

⁽¹⁾ طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص 81

إلا في مساحة الوقت وعلى حسابه، فقضى حاله بأن لا ينفل كاهله بالكثير من النوافل والعبادات التطوعية لئلا تصرفه عن الضرب في الأرض، معتمد رزقه، فيكون في ذلك هلكه، والرسول رحمة للعالمين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم »⁽¹⁾.

والنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغل إقبال الرجل، فحافظ على روح الحوارية معه فأقصى من كلامه فعل الأمر (زد)، مثلاً، عقب كل إجابة كي لا يحمل السائل على ما لا يريد الخوض فيه، ويتأملي حوار النبي مع الرجل إلى أن يبلغ منتهاه المتمثل فيما تحدث عنه د/العليمي تحت عنوان (التعليم بالتقويم) وهو تصنيف العمل ضمن النسق القيمي الإسلامي، كي يرغب فيه أو يزهد فيه يقول: « من منهجه صلى الله عليه وسلم التقويم للأعمال والأفراد، يشجع على الصواب، ويوضح الخطأ ويبينه، حتى لا يقع أحد فيه مرة أخرى »⁽²⁾.

أما على مستوى الجمل، فالغالب عليها ورود الجمل التقريرية الوصفية، وفي ذلك ملمح تداولي من خلال المقام السردي للحديث، فهو مقام تصوير موقف تعليمي، وأما الطلبية فقليلة رغم طبيعة المقام وجاء منها الاستفهام:

- هل على غيرها؟

وتتكرر ثلاث مرات بالصيغة نفسها.

ومن خلال جملة الاستفهام هذه يكشف المتعلم عن رغبته في التعلم، فلم يكتف بالسؤال الأول ليميل إلى الأخف، وإنما الغرض منه استقصاء كل ما هو مطالب به، وهنا يظهر مبدأ شرط الصراحة الذي يتحدث عنه أوستين كضرورة

⁽¹⁾ أخرجه أحمد في مسنده

⁽²⁾ طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص 131

لتحقيق المحتوى القضوي، فالرجل بالنظر إلى الحاجة في السؤال يصرح برغبته في التعلم والتفقه، ونلاحظ في إجابات النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصار على المسؤول عنه فحسب، دون إطاب، وتلك من أمارات بلاغة الرجل الذي يعي ضرورات التعليم، ففي الإطالة تغير للنفس، وهو يستهدف التأثير الإيجابي، والتقليل إغراء بخفة المطالب، ومن ثم شعور بالقدرة على الاستجابة.

يقول الدكتور رمزي نعاعة: « وقد رسم عليه الصلاة والسلام منهاجا سويا إذا سار عليه الناس أبقوا على أنفسهم وتمكنوا من مواصلة العمل وظفروا بما يبتغون من مثوبة وجزاء، وكان صلى الله عليه وسلم لا يكلف الناس عسرا يتذلون به وتململ به نفوسهم »⁽¹⁾.

إن هذا لمما يتواتر على روح تداولية في الحديث النبوى الشريف بعامة، ومنه هذه الأربعون التي اختيرت لمقتضى نفعي مصلحي، يمكن الناس من تحصيل خلاصة مبادئ دينهم من سبيل يسيرة.

الحديث السابع والعشرون:

عن حذيفة بن اليمان (ض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كان رجل سيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا مت فحرقوني، ثم اطحونوني، ثم اذروني في الريح، في يوم عاصف، فإنه إن قدر علي لم يغفر، قال: فعل ذلك به، فجمعه الله، فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: مخافتك، قال: فغفر له»⁽²⁾

⁽¹⁾ من هدي السنة، ص 67.

⁽²⁾ أربعون حديثاً، ص 110 والحديث صحيح، أخرجه البخاري (6480)، والنسائي (2080/113/4).

زمن الفعل	عدده	الأفعال
المضارعة	01	يغفر
الماضية	09	كان، قال (4 مرات)، قدر، حمل، صنع، غفر
الأمرية	03	حرقوني، اطحونني، اذروني،

أفعال الحديث (كان، قال، مت، حرقوني، اطحونني، اذروني، قدر، يغفر، فعل، جمعه، فقال، حملك، صنعت، قال، قال، فغفر).

الحديث متحرك بحكم ثرائه بالأفعال، في مقابل الأسماء إذ الفعل حدث مصحوب بزمن يتحركه داخله، ولا غرو فالحديث ذو روح قصصية، والأفعال تنفس فيه الحياة، كي يتسعى الانخراط فيه شعوريا وعاطفيا، مما فيه مداعاة للتاثير ومن ثم الاصغاء، فالاقتناع، فالعمل بموجبه، وهذا عمل تداولي يتوجه إلى الوصول إلى مصلحة في النهاية، وهي توجيه أفعال المؤمنين.

ويبدو على الفعل الماضي الدال على التقرير حضوره الملاحظ، وذلك ما يقضي به الطابع القصصي، والبدء بالحكم على أمر الرجل بأنه (كان) إيحاء بتاريخية القصة، وفيه تتبيه إلى ما ينطوي عليه الماضي من عبر ومواعظ، وتلك طريقة استغلها القرآن واستثمرها فقص عن أنبياء الله ما هو معروف بين دفتي المصحف: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» ⁽¹⁾.

وفي إسناد الفعل إلى نكرة (رجل) ترفع عن الخوض فيما لا غناه فيه، من نحو اسم الرجل ومكانه وزمانه، لئلا يكون في ذلك صارف عن لب الرسالة الموجهة، وهو العطة. وتلك أيضا من خصائص الأسلوب القصصي القرآني، والتعليم بإيراد القصص من طرائق تعليمية، عمد إليها رسول الله صلى الله عليه

⁽¹⁾ سورة يوسف / ٨٨.

وسلم، على أن ثمة من العلماء من لا يرى في قصصه صلى الله عليه وسلم مجرد بناء فني من نسج الخيال الخلاق وإنما هي قصص لها مراجع في الواقع، يقول الدكتور أحمد محمد العليمي: «والقصة في القرآن والسنة حقيقة لا خيال لأن القرآن كلام الله منه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعني بالواقع التاريخي وكذلك ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وصح عنه، فهو لا ينطق عن الهوى»^(١).

والرجل في قيمة محددة، وهي أنه سيء الظن بعمله، والإعلام بكونه كذلك تمهد تعريفي بشخصية القصة، وأهميتها في أنه بؤرة الهدف من سوقها، إذ المراد هو استتكار سوء الظن بالعمل وعدم الثقة في غفران الله، وهذه أزمة نفسية يرمي النبي إلى مداواتها بالثقة، وتتوالى الأفعال الماضية لتسرد وقائع القصة فالرجل قال لأهله، فأجيب إلى طلبه، واعتقد أنه قد ينجو ولكن القادر على كل شيء جمعه كما جمع عظام حمار عزير عليه السلام، وسأله عن السبب وهو العالم به - فأجاب، وشكر الله عمله بالغفران.

ولكن للجملة الطلبية أيضاً حضورها في نص الحديث، فـ(حرقوني) وـ(اطحوني) وـ(اذروني) كلها أوامر تحيل على وجود شرط من شروط المحتوى القصوي، وهو القدرة على الفعل، ثم إن الرجل طلب من أهله ذلك، لأنهم إن علموا المقصود من فعله أجابوه إلى طلبه شفقة به ورحمة، فيما لو كلف غيرهم استتقلذ ندوه رؤية وعاشرة من حرقوا قريبيهم، وفي هذا استكشاف لملاحم عمل تداولي ناجح في صوغ رسالة من خلال مراعاته لما يضمن وصولها ثم تحقيقها، ويلوح مظهر تداولي آخر في تذليل الشرط بجوابه في (إنه إن قدر علي لم يغفر) وعلى الرغم من أن في جملته هذه ما يحمل على الشك في قدرة الله عليه إلا إنه لم يراع في النهاية، حتى لكان

^(١) طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص 110

الخشية من الله تغطي ذلك الريب، ويظهر الإيجاز في جمله، إيجاز يعبر عن سرعة الوصول بالمتلقي إلى نهاية القصة دفعاً لسأمه، وبياناً لعظيم قدرة الله:

- ففعل ذلك به.

- فجمعه الله.

وتأتي الجملة الاستفهامية (ما حملك على ما صنعت؟) لتعبر عن فعلين:

- حملك.

- صنعت.

ففي الأول إشارة إلى وجود سبب محترم بدليل مجازاته فيما بعد، جعل الرجل يصنع ما صنع، وفي السؤال عن السبب تعبير عن الحوار البناء، الذي بنى النتائج على مقدمات مصريحاً بها، لا تعجيل فيه بالمجازاة دون مبررات تذكر سلفاً، تسوغها، ويأتي جواب الرجل في غاية الإيجاز الرائع: (مخافتك) وفيه دعوة إلى التركيز على جوهر الحدث دون غيره، لأنه روح القصة: (مخافتك) وجاء بصيغة اسمية للدلالة على الثبات المجرد عن التقيد بزمان مثل ما هو في (خفتاك) أو (أخافتك) إذ هي مخافة مطلقة، فيقابل الإيجاز بالإيجاز في (فغر له) دون الخوض في: فجعل الله في خوفه مسوغاً للتغاضي عن شكه وقتله نفسه فغفر له. وتلك من أمارات الرسالة الناجحة.

يقول الراافي عن البلاغة النبوية في كتابه (البلاغة النبوية): « وأما القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظها ... فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية »⁽¹⁾.

ويحقق هذا الحديث تداوليته بموجب ما يدعو إليه، من أن نعبد الله واثقين، وبموجب ما يعظمه فيه من فضيلة خشية الله تعالى.

⁽¹⁾ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 229

على أن ابن قتيبة يشير في كتابه (تأویل مختلف الحديث) إلى أن ثمة من النحل من عد الرجل في هذا الحديث كافرا، ثم ذهب إلى أنه تكفير مدفوع غير ذي وجه، فقال: «وهذا رجل مؤمن بالله، مقر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق، وذرى في الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته تأنيبه، وبمخالفته من عذابه... وقد يغلط في صفات الله تعالى قوم من المسلمين ولا يحكم عليهم بالنار»⁽¹⁾.

فذهب ابن قتيبة إلى أن خوف العقاب يعني الإيمان بالله تعالى ضمنا، وأن القيمة حق، والحساب حق، والعقاب حق.

⁽¹⁾ تأویل مختلف الحديث، ص 111

ثانياً : الإنفاذيات في الأربعين الشحامية :

وتتضمن إشارة إلى استعمال الحق أو القوة والسلطان كنحو: عين، صرح، نهى، أمر، كلف... .

وتتسم الأفعال الكلامية الإنفاذية بـأنسانية أساليبها، فجملها ندائية واستفهامية وأمرية وناهية:

الحديث الرابع والعشرون:

عن عمران بن الحصين قال: قام شابان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: « يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه، أفي أمر جرت به المقادير فجفت به الأقلام، أم في أمر نستأنفه، قال: بل في أمر جرت به المقادير، وجفت به الأقلام، قالا: ففيما العمل يا رسول الله؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، قالا: الآن نجد ونعمل »^(١).

زمن الفعل	عدد	الأفعال
المضارعة	04	يعلم، نجد، نعمل، نستأنفه
الماضية	٠٦ / ١٥	رأيت، جرت (مرتان)، جفت (مرتان)، قال (٣ مرات)، خلق
الأمرية	01	اعملوا

تنوعت أفعال الحديث بين المضي والمضارعة والأمر، تتواءم تبرره حركية الحديث وسؤال الشابين عن أمر قضي الحكم فيه في مقادير الله قبله، والذي سيؤسسان عليه سلوكهما فيما سيستقبل من الزمان. وأما أساليبه:

^(١) أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً، ص 103. والحديث صحيح، أخرجه الخطيب في (الموضح) (١/١٣٥).

- يا رسول الله

نداء

- أرأيت ما ...؟

استفهام

- ففيما العمل؟

استفهام

- يا رسول الله

نداء

- اعملوا

أمر

يستهل الحديث بنداء رسول الله للفت الانتباه، ومراعاة لما في النداء من تحبب للمتكلم معه، يقول الدكتور رمزي نعاعة: «والنداء بـ(يا) للبعيد، والرسول معهم ، وليس بعيدا عنهم، والنكتة هنا التلذذ بذكره صلى الله عليه وسلم واستعذاب لمخاطبته»⁽¹⁾، ونودي النبي بالرسالة، تركيزا على الجهة المبتغاة فيه، فهما يحادثانه باعتبار كونه رسولا، وهو مما فيه ملمح تداولي وهو تكيف الخطاب مع طبيعة المتكلم معه، وفيه ملحوظ القدرة على الإجابة وتنفيذ الطلب، وهو من شروط تحقيق المحتوى القضوي للفعل الكلامي.

ثم يأتي السؤال عن أعمال الناس، وهو يندرج ضمن مسائل العقيدة المتعلقة بخلق أفعال العباد، أهي مسطرة سلفا ولا مجال لتغييرها بعمل إنساني إذ لا مبرر لهذا العمل الذي لن يقدم ولن يؤخر، أم أن العمل نتيجة سعينا، والسؤال ناجح تداوليا لتوفره على بديلين للإجابة، فهو ييسر الإجابة ويحدد نطاق التساؤل ولذلك انتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشق الصواب، ويعيده بلفظه ومعناه.

ويرد السؤال الثاني الناتج عن الإجابة، ففيما العمل يا رسول الله؟ وينهيل بإعادة النداء تحببا له صلى الله عليه وسلم وإلحاحا على معرفة الإجابة، وتأتي الإجابة في صيغة جملة أمرية: (اعملوا) والأمر دليل على طلب ما هو مصحوب بالقدرة على إتيانه، كما أن توجيهه هنا جاء بصيغة الأمر المباشر

⁽¹⁾ من هدي السنة، ص 09.

للدلالة على حسم كل تردد، وقطع كل خيار للمكلف⁽¹⁾ ، وتكرار الشابين لندائه صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان القوي، مما فيه إغراء بإمكان توجيه الأوامر دون تحرج، ولا يفوت النبي صلى الله عليه وسلم ما يستوجهه الأمر من تبرير أو تعليل يعين على تسویغه لدى المتلقى، ومن ثم تطبيقه والعمل بموجبه، فيقول: « فكل ميسر لما خلق له » ولذلك تواجهنا استجابة الشابين الفورية: « الآن نجد ونعمل »، وسيعمل الشابان بعد أن استقر لديها الجواب (بل في أمر جرت به الأقلام) الذي كرره النبي لفظاً ومعنى كي يحتفظ به المتعلمان والتكرار فعال تداولياً، لأن فيه معنى التثبيت، لذلك كثيراً ما لجأ الرسول إليه في مهامه التعليمية.

الحديث الثامن والثلاثون:

وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يتمون الصفوف المقدمة، ويترافقون في الصف »⁽²⁾.

زمن الفعل	عدد	الأفعال
المضارعة	05	تصف (3 مرات)، يتمون، يتراافقون
الماضية	02	قال (مرتان)
الأمرية	00	//

جميع أفعال الحديث مضارعة (تصفون، تصف، تصف، يتمون، يتراافقون)

⁽¹⁾ دارمزي نعناعة ، من هدي السنة، ص55.. والحديث صحيح، أخرجه مسلم (430) وأحمد (101/5)
⁽²⁾ أربعون حديثاً، ص135.

ما خلا الفعل (قال) مسندًا إلى المفرد الغائب مرة و إلى جماعة الغائبين مرة أخرى وليس في الحديث بيان لأمر قد مضى وانقضى، وإنما لا يزال إلى الآن وإلى الأبد ويرجى أن يكون عليه المسلمين في مستقبل الأيام، لذلك استهل خطابه صلى الله عليه وسلم بسؤال بالنظر إلى أنهم يجهلون سلوكاً تعبدوا له خطره، وهو الاصطفاف في الصلاة، والسؤال بدءاً لأن فيه تشويقاً للمعرفة، يقول الدكتور عز الدين علي السيد : « والرسول الكريم عليه السلام يتخذ من الاستفهام باباً واسعاً لتقرير المعاني ولزيادة المعاني، فكم جاء استفهامه تشويقاً للسامع وقسرأً لانتباذه أو استدراجاً وتقريراً»⁽¹⁾.

فرسول الله يكتفي بأسئلة أصحابه فقط، فهو لا يتوقع سؤالهم إياه في كل شيء، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالغيبيات وما يتصل بتفاصيلها، وهو المطالب بالتبليغ، فيعبر النبي عن مبادرته في التعليم ورغبته فيه، فيخاطبهم بالجملة الاستفهامية استدراجاً لهم للتزيد من المعرفة، وهذا سلوك تداولي لا يهتمي إليه غير البليغ الحصيف.

وينجح السؤال في إصابة هدفه، فيهرب الصحابة إلى السؤال: « وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ » وهكذا يجيب النبي بالفعلين المضارعين (يتمنون) و(يتراضون) للتعبير عن إرادته تحقيق ذلك في مستقبل أيامهم، فكان بيده صلى الله عليه وسلم يقول: « فإني بعد ذلك أريد أن تتموا وتترافقوا. وهذا من مهارات الأستاذ الحاذق العارف بما عليه من مستلزمات مهماته المتمثلة في التعريف الناس بدينهم وتوجيههم إلى سبل الخيرات »⁽²⁾.

⁽¹⁾ الحديث النبوى من الوجهة البلاغية، ص 361

⁽²⁾ انظر: الصابوني، من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، ص 177

ثالثا : الوعيّات في الأربعين الشحامية :

وهي تحيل على إلزام المتكلّم نفسه بالقيام بفعل ما، من نحو: وعد، نذر، ...

الحديث السادس والثلاثون:

فعن أبي ذر قال: «أتّيت النبي صلّى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة جالس فلما رأني أقبلت قال: هك الأثثرون ورب الكعبة، هك الأثثرون ورب الكعبة قال: فأخذني غم، وجعلت أنفّس فقلت: هذا شيء حدث، قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: الأثثرون إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه، وقليل ما هم، وما من رجل يموت ويترك إبلًا أو غنماً، لم يؤد زكاتها إلا جاءت يوم القيمة أعظم ما كانت، حتى تطؤه بأظلافها، وتتطحه بقرونها حتى يقضي بين الناس ثم يعود أولها على آخرها». ^(١)

زمن الفعل عدد	الأفعال	المضارعة
08	أنفس، يموت، يترك، يؤدي، تطؤه، تتطح، يقضي، تعود	أتيت، رأني، أقبلت، قال (٥ مرات)، هك (مرتان)، أخذني، جعلت، جاءت، كانت
14 16		
00	//	الأمرية

تنوع أفعاله بين المضارعة والمضي، فغلب الماضي على مقدمة روایة أبي ذر لأجل الطابع القصصي (أتّيت، رأني، أقبلت، هك، أخذني، جعلت، قلت، قال، ...).

^(١) أربعون حديثاً، ص ١٣٣. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (٥/١٥٢)، والبخاري (فتح) (٦٦٣٨).

واستأثر المضارع بالتعبير بما سيكون عليه حال هذا الصنف من الناس الذي يتوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك. (هلك (وهو مصروف عن مقتضى الظاهر) يموت، يترك، لم يؤد، تطوه، تتطحه، يقضى، تعود).

وجاءت جملة (هلك الأكثرون) فعلية لا اسمية دالة على الثبات كمثل، (الهلاك للأكثرین) كي لا يبعث الكلام على اليأس، وإنما يستهدف الخطاب الترهيب مع إبقاء إمكانية العمل على النجاة، يقول د/ عز الدين علي السيد: « هذه الأفعال التي ذكرت بصيغة الماضي لا يختص الجزاء المذكور بعدها بما وقع منها بعد إخباره عليه السلام بها، فالحكم منسحب على الحاضر والمستقبل، ومعنى هذا أن مدلولها الزمني غير مقصود، فهي مطلقة من الماضي مخالفة لظاهر الوضع وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر أو المستقبل هو تأكيد حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب والترغيب، تصويرا له صورة الواقع ليجتنب أو ليلتزم »⁽¹⁾.

ونلاحظ الوعد بالهلاك مكررا، لتأكيدته وتثبيتها، وتتبنيها بخطورة المسألة وبعثا لفضول الصحابي للتعرف على السبب، ومن هم الموعودون بذلك فتجلى عبرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال تصعيد اندهاش السائل فيكرر: الأكثرون، ثم يترك متتفسا لصاحبه بهذا الاستثناء (إلا من قال) ولكن الكشف عن الهاكين لم يحصل بعد، إنهم الممتنعون عن الزكاة، فبم يوعدون؟ بالهلاك؟ فالهلاك كلمة فضفاضة، بقلب ما يرونه نعمة نعمة عليهم فإن من لم يزك غنما له أو إبلأ بنية تكثيرها، كثرت ولكن لطأه، لتطحه، ... وإن منهج الحديث تداولي ناجح من حيث تقديمها بما يجلب النفس، ثم بسطه لطبيعة المعصية، ثم ختامه بما يخيف السامع، بما يردعه، فإن الإبل أو الغنم التي استأثر بها دون مستحقها ليست في شرع الله له، فها هي ذي تتبرأ منه يوم القيمة، لتتحقق

⁽¹⁾ الحديث النبوى من الوجهة البلاغية، ص352.

بأهلها، وقد اصطفى النبي ألفاظا دالة على أنه يقدر حدود الله حق قدرها، ويقيم الوزن، كبيرة الوزن لمراعاة أحکامه، فهو دائم الترقب لذلك كله، يقول الرافعي: «ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصدقها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه»⁽¹⁾.

ورسالة الحديث ذات صبغة اجتماعية، تستهدف وضع برنامج راشد للتنمية، وتوزيع الثروات توزيعا يكفل الكرامة للجميع، وتحقيق هذا الهدف مرهون بكفاءة ملقن أسس هذا البرنامج واستراتيجيته، يقول محمد لبيب النجحي: «إن رسم أي خطة تنموية، لا يمكن لها أن تحقق أهدافها مهما توفرت لها من شروط وإمكانيات إذا لم تتوفر على المدرس الكفاء»⁽²⁾.

⁽¹⁾ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 193.

⁽²⁾ الأسس الاجتماعية للتربية، ص 371.

رابعاً : السلوكيات في الأربعين الشحامية :

يسمى أوستين سلوكيات كل فعل لغوي عبر عن وضع نفسي ما، تجاه واقع ما، فهو فعل إفصاحي، من نحو: ضحك، عبر، اعتذر، أعجب، سكت. وكثيراً ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمد إلى تمرير رسالة ما عبر سلوك من السلوكيات، ولعل سكوته فقط -والسکوت سلوك- عن أمر من الأمور أن يعد سنة في حد ذاتها باعتباره تقريراً وإقراراً غير منطوق بالأمر الذي سيكتسي صفة الشرعية بقرينة سكوته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذو قدم راسخة في انتقاء الألفاظ الدالة على السلوك، بحيث يبعث في النفس شعوراً به، فتقبل عليه في مقام الترغيب، وتتناثر دونه في مقام الترهيب.

الحديث السادس عشر:

فعن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده، ونفح فيك من روحه، وأسكنك الجنة، أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة وفعلت ما فعلت، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاه الله بكلامه تلومني على شيء خلقه الله قبل أن يخلق السموات والأرض، قال: فحج آدم موسى»⁽¹⁾

زمن الفعل	عدد	الأفعال
المضارعة	02	تلوم، يخلق
الماضية	14	احتـجـ، قال (3 مرات)، خـلـقـ (مرـتـانـ)، نـفـحـ، أـسـكـنـ، أـغـوـيـتـ، أـخـرـجـتـ، فـعـلـتـ (مرـتـانـ)، اـصـطـفـيـ، حـجـ
الأمرية	00	//

⁽¹⁾ أربعون حديثاً، ص 78. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (5/152)، والبخاري (6638/فتح).

أفعال الحديث: (احتـجـ، قـالـ، نـفـخـ، أـسـكـنـ، أـغـوـيـ، أـخـرـجـ، فـعـلـ، اـصـطـفـىـ، خـلـقـ، حـجـ) وهذه أفعال ماضية، يعبر ماضيها عن التوب القصصي للحديث (تـلـوـمـ، يـخـلـقـ) وهذا مضارعان يعبران عن الحوار الراهن بين النبيين -عليهما السلام-

وفي الأفعال الماضية تذكير من موسى لأبيه ومعاتبته له عما بدر منه قبل النزول إلى الأرض، رغم ما كان فيه من نعيم مقيم. وترتيب هذه الأفعال ناجح تداولياً. لأنَّه جار على مقتضى مقام الخطاب، عنيت تسلسل الأحداث: فالله خلق ثم نفخ ثم أسكن ثم أغوى آدم ثم أخرج الناس ثم فعل ما فعل. وهو ترتيب صاغه المصطفى على لسان الكليم -عليه السلام- يعبر عن مستوى المحاججة لديه إذ لم يشأ موسى عليه السلام تجميع نعم الله على آدم فحسب وإنما عرضها مرتبة ليكشف عن درايته التامة بطريقة إيجاده وحياته وسلوكاته ومن ثم فهو لا يلقي عليه باللائمة عن جهل، ليكون ذلك أحج وأدعى للغلبة.

ومستهل الحوار جملة إسمية (أنت الذي) لدلالتها على الثبات، ليكون ذلك دالاً على اليقين والثبات، ويأتي رد آدم عليه السلام مستهلاً بجملة إسمية مبتدأها الضمير وخبرها (موسى) ليعبر آدم عن معرفته أيضاً بمحاوره، ويبين عن أن معرفة موسى بقصة خلق آدم ليست مداعاة للاستغراب فـ(أنت موسى الذي اصطفاه الله بكلامه) ومن ثم فأحرى بمن خصه الله بذلك أن يعرف ما عرفت، ولكن ألم تحط علمًا بزمان ذلك؟ وأنه قبل أن يقع في علمي أن الله سيخلق مني نسلاً يسعدون ويشقون؟ وأنت الكليم لله تكليمًا، فكيف أرجأت السؤال إلى ملاقاتي؟ فإني ما وجدت لللومك وجهاً.

إن ثمة توازناً أقامه النبي صلى الله عليه وسلم بصياغته البلاغية بين كلام النبئين فكلاهما استهل بالذكر المبرر للعتاب، ثم يضع النبي نتائج المحاجة في خاتمتها في عبارة، هي الغاية من الإيجاز، تتضمن كلمات ثلاث (الطرف الأول: آدم والطرف الثاني: موسى، والنتيجة: حج)

وينتقي النبي صلى الله عليه وسلم الفعل (احتاج) المأمور من الحجة لأنها مطلب النبئين اللائق بمقامهما، ولم ينتق (خاصم أو جادل) مثلاً، فالحجاج سلوك ينبع بعلو النفس، ونبيل المقاصد، ثم عبر بـ(خلق) الدال على الإيجاد من العدم، ليذكره بأنه بنعمة الله وجد بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، والإشراف على الخلق باليد فيه تشريف وتكرير، ثم (نفح) لأن فيه إرسالاً للشيء بقوة مريدة، فأنت - يا آدم - لم تكن سهواً، بل أريد لك أن تكون، وزاد (فأسنك) على زنة (أ فعل) الذي فيه همسة الجعل، أي جعلك تسكن جنته، وهو يقصد إلى ذلك قصداً، ولكنك سلكت سلوكاً غير معبر عن الشكر فـ(أغويت)، ولم يقل (أغريت) لأن في الإغراء إيهاماً بالبديل الأحسن، ولم يكن ذلك مع آدم وـ(أغويت) كنت السبب في غوايتهم أي إبعادهم عما هو خير لهم وأبقى، فمع أن الشعر مظنة الحكمة بإقرار النبي إلا أن الشعراً يتبعهم الغاوون أي المبتعدون عن الأحسن إلى ما لا يخلو من حسن.

ويأتي التعبير بـ(تلومني) لا بـ(تعاتبني) لأن في اللوم ما ليس في العتاب، فاللوم كما يقرر أبو هلال العسكري هو: « تلبية الفاعل على موقع الضرر في فعله وتهجين طريقة فيه »⁽¹⁾.

وهو ما حصل مع موسى عليه السلام، فهو لا يرمي إلى اتهام أبيه بتضييع حقوق أو إساءة تتم عن عداوة ومقت، وذلك ما في العتاب يقول

⁽¹⁾ أبي هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص43.

العسكري: «العتاب هو الخطاب على تضييع حقوق المودة في الإخلال بالزيارة وترك المعونة وما يشاكل ذلك»⁽¹⁾ وليس ذلك بحاصل مع آدم عليه السلام، لذلك حفظ له موسى -عليه السلام- مقامه منه، ويتبين نجاح تداولية هذا الاختيار لللوم دون العتاب، من خلال تضمن اللوم لحفظه على أصل الصلة، فأنت تعاتب من أساء فصرمها، وتلوم من أساء وأبقى عليها، يقول العسكري: «ولا يكون العتاب إلا من له موات يمت بها»⁽²⁾.

وهذا يعبر عن انتقاء النبي صلى الله عليه وسلم الدقيق، وفيه تداولية محققة بمقتضى التعبير عن السلوك اللائق بموسى عليه في حق آدم. فيعبر النبي صلى الله عليه وسلم بـ(شيئ) فهي ليست قضية أو إشكالاً، بل لم ترق إلى شيء من ذلك، ولا تدعو كونها (شيئ)، وفيه إبلاغ لرؤيه آدم لما يسأل عنه موسى على أنه غير ذي شأن، ومن شأن المحاجج أن يهون ما يحتاج به محاججه، فكانت الصياغة معتبرة عن ذلك بنجاح، وتخلص حجة آدم إلى منهاها بإسناد خلق ذلك الشيء إلى صاحب الإرادة المطلقة والذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، إنه (الله) سبحانه وتعالى، فأنت يا موسى تسأل عما لا إرادة لي فيه، وذلك من قبيل تذكرة موسى، لا من قبيل إعلامه بما يجهل، وإن يكن ذلك وارداً فقد سبق تذكرة بأنه الأولى باللوم لأن المصطفى لاتصاله المباشر بالله عن طريق تكريمه في الأمر، وهنا يصوغ النبي نهاية للموقف بـ(حج) ولم يقل (غلب) أو (أفحى) لأن في مقام الخطاب طلباً للحج، وفيه رسالة تعليمية رائعة يريد لها رسول الله أن تقع في الأفهام وأن تستقر في الأفئدة، ولعل هذا أن يكون هدفاً رئيساً للحديث كلية، وإن تكن ثمة أهداف ثانوية في تضاعيفه، كنحو:

⁽¹⁾ م.ن. ص44.
⁽²⁾ م.ن ص44.

- 1- مشروعية الحوار البناء الباحث في أمور العقيدة بدليل جريانه بين الأنبياء.
 - 2- الإشارة إلى الناجح منه، وهو المحتكم إلى الحجة.
 - 3- الأدب في محاورة المحاجج ومراعاة مقامه.
 - 4- تذكير الإنسان بأصل خلقه ونعم الله عليه.
 - 5- سوق المتكلمي إلى القناعة بالأمر من خلال افتتاح الأنبياء به.
 - 6- الدعوة إلى الإيمان بأعمال الفكر والاستباط.
- فما الذي يحصل عليه المتكلمي بعد الاستباط، إنه: (لا سبيل إلى مغالية إرادة الله).

وبعد، فإن الكثير من المبادئ التي تؤمن بها التداولية الحديثة يتخذ له موقعا في أحاديث هذه الأربعين الشحامية، في أحاديثه صلى الله عليه وسلم قاطبة.

خامساً : التبيينات في الأربعين شحامية :

تتضمن التبيينات معنى عرض المفاهيم، وشرح الموضع، وبسط التعريف. وتكشف أيضاً عن علاقة المتكلم بموضوع ما، من نحو: شرح، أثبت، بين، أنكر ...

وتحتل التبيينات مكانة كبيرة في الحديث النبوى، نظراً لما تتوفر عليه روح التعليمية من شرح وكشف وتفصيل يوصل إلى الاقتناع ومنه إلى التأثر ومنه إلى العمل.

يقول الله سبحانه وتعالى: «**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِبِينَ
لَهُمْ**»⁽¹⁾ ويكثر حضورها في ما له صلة بالأحكام ومعرفتها من إباحة ومحظر
وكراهة ...

الحديث السابع والثلاثون:

فعن أبي سعيد الخذري (رض) أن أعرابياً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، إني في غائط مضبة، وإنه عامنة طعام أهلي؟ فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، فجعلنا نقول: عاوده، فلم يجبه، ثم عاوده الثالثة فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله لعن أو غضب على قوم من بنى إسرائيل، فمسخوا دواب يدبون في الأرض، ولست أكلها، ولا أنهى عنها»⁽²⁾.

⁽¹⁾ سورة إبراهيم / 4.

⁽²⁾ أربعون حديثاً، ص 134.

زمن الفعل	عدد	الأفعال
المضارعة	06	نقول، يجبه (مرتان)، يذبون، أكلها، أنهى
الماضية	06	جعلنا، أجابه، قال، لعن، غضب، مسخوا
الأمرية	02	عاوده (مرتان)،

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما سئل عنه ليس ذا حكم ثابت، موضوع إلى قريب منه، ليقلي به إلى السائل فور سؤاله، وإنما في الأمر اجتهاد شخصي، واحتکام إلى ما لا إلزام للأمة فيه، لذلك أعطى للاجتهاد حقه من التروي وعدم الاندفاع، فائز أن يرسل ذلك إلى متلقيه بالامتناع عن الإجابة مرتين، ثم يستأنف إجابته بتمهيد لمزيد بيان مسوغات حكمه، ويأتي التمهيد مؤكدا بـ(إن) لتصدر جملة خبرية طلبية، لأن ذلك ثابت، والانطلاق من المتفق عليه موطن للسوق إلى الحكم، إذ هو من قبيل الاستدراج إليه، ولم يأت الخبر ابتدائياً لعدم خلو ذهن المتلقى منه، كذا لم يكن إنكارياً لعدم دفع المتلقى له. إنما كان طلباً لإزالة تردد محتمل فقط، حاصل لديه، فاستهل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب الانطلاق من الأسهل المعروف، إيصالاً له إلى الحكم بممارسة استباطية رائعة، بقول د/يوسف القرضاوي: « والمهم ألا يبدأ المعلم تلاميذه بدقة العلم وعوicص مسائله، فيغرقهم في بحر عميق لا يستطيعون النجاة منه، بل يبدأهم بالأسهل والأيسر لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حب إلى من يدخل فيه، وتلقاءه بانبساط »⁽¹⁾ ، ولكن ما يستتبع الأعرابي؟ أن لا حكم في القرآن على ما سأله، ولا مدعاه لأن يكون فيه حديث يشكل نصاً قطعياً

⁽¹⁾ الرسول والعلم، ص341. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (62/3)

الدلالة على الحكم، والقرآن والسنة ملزمان، فما بقي في الأمر؟ إنه سلوك شخصي يستحب الاقتداء به فيه، يبرره النبي صلى الله عليه وسلم برؤية شخصية محمدية لا نبوية كل ذلك كي يدعو الأعرابي إلى الاجتهاد الذي يؤدي به إلى اتخاذ موقع له في المسألة، فرسالة الحديث أن لستم واقفين في القرآن والسنة على جميع ما عنه تساؤلون، إذ في الأمر فسحة للنظر والاجتهاد، وتلك رحمة لا يقدرها إلا العارفون ، يقول الدكتور أحمد محمد العليمي: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكابر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به سواء في ذلك القرآن المنزّل أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم»⁽¹⁾.

وليوفر النبي صلى الله عليه وسلم لتبيينه كل أدواته اللغوية يختار كلمة (قوم) المتبع بـ(من) التبعيضية دافعاً لتميم الحكم على بنى إسرائيل، إذ لو كان الأمر كذلك للزم حظر أكل الضباب مطلقاً، ولكن المسألة مسألة التحوط، والأخذ بالأحوط من قواعد أصول الفقه. والإباحة المطلقة مظنة لأن يقع المرء في المحضور، ومسألة ظاهرها الإباحة المفضية إلى الوقوع في المحضور تعالج عن علماء الأصول في باب (سد الذرائع)⁽²⁾.

ثم إنه قد ترك الكثير من الأحكام بالنظر إلى الاحتکام فيه إلى الجبلة والفطرة ولذلك قال ابن قتيبة بعد اشتغاله بهذا الحديث: «ومن المحرم شيء لم ينزل بتحريمه تنزيل ولا سنة، وكل الناس فيه إلى فطرهم، وما جبلوا عليه كل حم الإنسان ولحم القرد ولحوم الحيات والأبارص والعظام والفار وأشباه ذلك»⁽³⁾.

⁽¹⁾ طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص60.

⁽²⁾ الشوكاني، إرشاد الفحول، ص410.

⁽³⁾ تأویل مختلف الحديث، ص247.

ويأتي النفي بأداتين مختلفتين (الست) و(لا)، فجعل ما يكون للمستقبل منها⁽¹⁾ خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو ليس يأكل الضباب بداعٍ شخصي مزاجي، و(لا) ينهي عنها الآن لعدم وجود الحكم، وتوقعوا لإمكان مجئه فيما بعد، وذلك من أدق ما يمكن أن يبين به، فرسول الله يبين موقفه من المسألة بأدوات لغوية دقيقة جداً ويعلم ما له وما عليه فيها بصورة مضبوطة وجلية.

2. تحليل الأحاديث وفق تقسيم سور:

أني رأيت أن تقسيم سور ذو طبيعة إجرائية أكثر من تقسيم أستاذه أوستين، وذلك لنجاته من التداخل الذي انتبه إليه أوستين نفسه، فجعله لا يرضي عن تقسيمه فاعتبره مبدئياً، ولرصد سور لمجموعة الشروط التي تعمل بعطف بعضها على بعض على إنجاح القضية، ومن ثم فإني سأعتمد إلى تحليل حديث واحد ضمن كل صنف، وأصطفى من الأحاديث الشhamية ما صح منها فقط، دفعاً لتقويل النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، وإساحة للمجال الأرحب للتعرض لكل عناصر التقسيم السورلي:

أولاً : التقريريات في الأربعين الشhamية :

الحديث الثامن: عن المغيرة بن الأخنس قال: «دخلنا على المغيرة بن شعبة وعنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: فدخل علامة بن قيس، فnal من على، فقال سعيد بن زيد: ألا أراني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينال منهم وأنت ساكت؟ وإنني لعشر المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سمعته يقول: أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة، وعثمان بن عفان في الجنة، وعلى بن أبي طالب في الجنة، والزبير بن العوام

⁽¹⁾ انظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص124.

في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وطلحة بن عبد الله في الجنة، وذكر التاسع آخر، قال: قلنا من هو، سعيد بن زيد؟ قال: فسكت، قال: فأرسل دموعه رضي الله عنهم أجمعين؟⁽¹⁾ «

الفعال	عدد	زمن الفعل
يقال، ينال، يقول	02	المضارعة
دخل (مرتان)، قال (6 مرات)، نال، آراني، سمعته، ذكر، سكت، أرسل، رضي	15	الماضية
//	00	الأمرية

وتقريريات الحديث:

- دخلنا على المغيرة بن شعبة.
- وعنده سعيد بن زيد...
- قال
- فدخل علقة بن قيس
- ينال من على
- أنت ساكت
- إني لعشر المؤمنين مع رسول الله.
- سمعته يقول.
- أبو بكر في الجنة.
- عمر في الجنة.

⁽¹⁾ أربعون حديثاً، ص 43. والحديث صحيح، أخرجه الطبراني (9489-الأوسط).

- عثمان في الجنة.
- علي في الجنة.
- الزبير في الجنة.
- سعد في الجنة.
- عبد الرحمن في الجنة.
- طلحة في الجنة.
- ذكر التاسع.
- سكت.
- أرسل دموعه.

تعرضنا إلى أن من شروط التقريريات أن يستحضر المتكلم الشواهد المبرهنة على صدق ما يقرره، فالمغيرة بن الأنس يقرر بدءاً أنه (دخل)، وأسنده لجماعة المتكلمين (دخلنا)، وليس بهم ذكر من دخل معه، لوجود الشهود في مجلس المغيرة بن شعبة ومنهم سعيد بن زيد (ض) ثم يقرر سعيد بن زيد (وهو ابن عم عمر بن الخطاب) كان عنده، ثم دخل علقة الذي ذكر علياً بما لا يرضي، لأنه كان من أتباع معاوية، وهنا يتدخل سعيد محتاجاً، وترتيب الأفعال التقريرية لا يخلو من تقنية تداولية، فذكر الدخول ثم وجود سعيد ثم نيل علقة بعد دخوله، يبني عن حيادية الراوي إذ لو قال: دخلنا على المغيرة ثم دخل علقة فنال من علي وسعيد عنده لأفاد ذلك رسالة غير الأولى، وهي عدم توقيف علقة لسعيد، إذ قد آذى علياً دون اعتبار لوجود سعيد، وأعتقد أن هذا ما لم يرده الراوي بالنظر إلى ترتيب أفعاله.

- دخلنا + عنده سعيد + دخل علقة + نال من علي ← الحياد في التقرير.
- دخلنا + دخل علقة + نال من علي + وعنه سعيد ← الإغراء بعلقة.

أقول هذا، وإن كان غرض المغيرة بن الأحسن تشريف سعيد، إلا أنه لا يلزم منه الإزراء بعلمة، وإغراء المغيرة بن شعبة به، وتشريف سعيد يوقف عليه من تقريره (عنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) فلماذا ذكر الجد وأبو الجد؟ هل ليخبر بما هو واقع في العلم؟ فالمجلس مجلس صحابة، وهؤلاء أعرف بأنسب بعضهم لبعض، إذن لعله ليجمع الشواهد على صدق معرفته بسعيد، فهو يذكر نسبة جيداً، وهذا ما يشترطه سورى كي يكون التقرير تقريراً، ويذكر أجداده تذكيراً بصلة الدموية بعمراً بن الخطاب بن نفيل، وعليه، فال்�تقرير تقرير ناجح، وتزداد حيادية الرأوى جلاء بتقريره (نال من على)، فهو لم يغير النيل بـ(ذكر) لأن الذكر عام في حسن الكلام وقبيحه، أما النيل فتحديد لطبيعة الذكر وهو من باب الأمانة في النقل، ولكن (من على) ومن على فقط، فقد اقتصر على ذكر الاسم دون مصاحبة صيغة تكريمية، ويأتي تقرير سعيد عن حال ابن شعبة (أنت ساكت) بجملة اسمية دالة على ثبات الأمر، وأماره حاله أمام العيان دليلاً ذلك، ويعاجل سعيد المغيرة قبل الإجابة: (إنني لعشر المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويكون هذا الخبر مؤكداً بـ(إن) واللام، ذاهباً بالخبر إلى أعلى مستويات التأكيد، أي الإنكارى، دفعاً لأعلى درجة من التكذيب، وـ(إن) واللام من مؤشرات صدقه، زيادة على سابقته في الإسلام.

وتتوالى تقريرات النبي صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة» واعطف عليه البقية، والجمل اسمية لثبات ما تدل عليه، وهي أخبار ابتدائية لخلو أذهان الصحابة من الأمر، إذ هو غيبى لا سبيل إلى معرفته إلا بإعلام النبي، والصحابة في غير حاجة إلى مؤكّدات، طالما أن في جميع سيرته ما يقضي بصدقه صلى الله عليه وسلم، (وهو في الجنة) لا (سيدخل الجنة) دليلاً على ثبات ذلك قطعاً، ويكرر النبي مع كل اسم (في الجنة) ليثبت لكل واحد منهم

مثل ما لآخر، وكل ذلك دال على براعة النبي صلى الله عليه وسلم في تشكيل خطابه وفقاً لمقام صحابته، وتأتي تقريراته ثابتة دفعاً لما ينالهم من انتقاص الشأن، وهو ما حدث فعلاً في المجلس، ورسالة الحديث توقير الصحابة الكرام، ويأتي تقرير الراوي بأن سعیداً (سکت) عند العاشر ثم (أرسل دموعه) ورسالته تنزيه النفس عن العجب والریاء، وهنا يبرهن الشحامی أنه انتقى أحاديثه لغرض تداولي نفعي تربوي هادف أشرت إليه في المدخل.

ومما فيه تقرير في هذه الأحاديث التاسع عشر منها :

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في الإِسْلَامِ ثُلَاثٌ وَسَوْطُونَ مَفْصَلٌ، عَلَى كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْهَا صَدْقَةٌ، قَوْلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَسْتَطِعُ ذَلِكَ؟ قَالَ : أَلَيْسَ يَنْحِي أَحَدُكُمُ الْأَذْى عَنِ الظَّرِيقِ، وَيَبْرُزُ فِي الْمَسْجَدِ وَيَدْفُنُهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعُلْ، فَرَأَنِي الضَّحْيَ تَجْزِيهِ ». ”

زمن الفعل	عدد الأفعال	
المضارعة	06	يستطيع، ينحي ، يبزق ، يدفنها ، يفعل ، تجزيه
الماضية	02	قال ، قيل
الأمرية	/	//

وأفعال الحديث (قيل، يستطيع، قال، ينحي، يبزق، يدفنها، يفعل، تجزيه). وكلها مضارعة، ماعدا فعل المحاورة (قيل قال) فماضيان، وهي مضارعة لتحقيق مصلحة، وهي الالتزام في مستقبل الأيام بما ورد في الحديث من سلوکات حميدة، فمن مصلحة الداعية أن ينتبه أتباعه إلى كل ما فيه خير لهم، والسعى إليه بكل ما يقدرون عليه، لذلك قرر في مستهله أن في الإنسان عدداً كبيراً من المفاصل التي رزقه الله إياها، ليعمل بها على كسب الأجر، وهذا

تقرير من النبي صلى الله عليه وسلم، على أن الله ما دعا عبده للعبادة، إلا وقد هياً له القدرة عليها، كما قرر أن الله يهب على كل حركة من الإنسان، يرجو بها وجهه أجرًا، مهما تكن ضاللة هذه الحركة، كتحية الأذى من الطريق، وهو غير مكلف، وكدفن البزاق في تراب المسجد من مساجد ذلك الزمان، وكتادية ركعتين ليس فيها عناء، وفي سؤال النبي صلى الله عليه وسلم «أليس ينحي ...؟» تقديم لشاهد ودليل على صدق ما يقرره، وهو واقع الحال، وهذا ما يتحدث عنه سورل في شروطه، أي أن من شرط المحتوى القصوي في التقريريات، إثبات المتكلم فيها بما يصدقه.

ويقرر النبي في الحديث الثاني والثلاثين مايلي :

عن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تميلها الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا. ومثل المنافق كمثل الأرزة المجنوبة على الأرض، حتى يكون انجعافها مرة »^(*).

زمن الفعل	ال فعل عدد	الحال
المضارعة	01	تميلها، يكون
الماضية	00	//
الأمرية	00	//

ويحضر فيه هذان الفعلان : (تميلها، يكون).

ويقرر النبي أن :

- المؤمن يشبه الخامة من الزرع في الليونة.

- تميل بها الريح جانبًا فجانب لليونتها.

^(*) ارجع مدينا، ص 122.

- المنافق يشبه الأرزة في التصلب.

- تحصدها الريح مرة واحدة لتصلبها.

ففي الأول، يقرر النبي أن المؤمن الحق لين، طبع، غير متزمت، ولا متعصب، ولزيذ النبي تشبيهه هذا وضوحاً، استعماله أدوات غير كلامية كالإشارة بـ (هكذا) و (هكذا). وليس يخفى ما في ذلك من استزادة لضمادات بلوغ الرسالة، وللتوالص غير الكلامي اهتمام بالغ في مباحث النظريات التبليغية اللسانية.

وأما توفير شاهد الصدق في التقرير الذي يشترطه سورل، فالرسول الكريم أقام لتوفيره هذا التمثيل الدقيق، وهو تمثيل مجد، حسي، ومن واقع البيئة، تعضده ما قضت به سنن الطبيعة، وإيصال حال المؤمن الحق في سلوكياته اللينة، والمنافق الذي لا يلبث حتى يقضي عليه نفاته.

ثانياً: الوعديات في الأربعين الشحامية :

من الوعديات، الحديث الأول :

فعن أبي بكر الصديق (رض)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من اغتسل يوم الجمعة، غسلت ذنبه وخطيئته، فإذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيزة بعمل مائتي سنة ».⁽¹⁾

زمن الفعل	عدد	المضارعة
الأفعال		
//	00	الماضية
اغتسل ، غسلت ، راح ، كتب ، قضيت ، أجيزة	06	الأمرية
//	00	

أفعال الحديث (اغتسل ، غسلت ، راح ، كتب ، قضيت ، أجيزة).

جميع أفعال الحديث ماضية، والماضي دال على ثبات الحديث، فكأن ما يعد به، عز وجل، مما جاء في الحديث، ثابت، أي أن المغتسل قد لقي ثوابه وانقضى الأمر، لا سيلقاء، وهو محمول على ما قيل من قبل المفسرين في قوله تعالى: « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ». فالهدایة ثبتت في علم الله القديم لمن سيعتصم، وفي ذلك تصوير لتعجيل الله للثواب، وهذا من عظيم منه وكرمه على عباده.

وأما جمل الحديث فشرطية كلها :

1/ من اغتسل يوم الجمعة، غسلت ذنبه وخطيئته.

2/ فإذا راح، كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة.

3/ فإذا قضيت الصلاة، أجيزة بعمل مائتي سنة.

(1) أرجعوا حدثاً ، ص 23 .

(2) كد عمار آية 111 - .

وعددتها ثلاثة، وفي ذلك حضور تداولي من خلال الانسجام مع الواقع، أي بحسب أداء صلاة الجمعة، استعداداً، رواحاً فقضاء، وفي أسلوب الشرط ربط للعمل بجوابه، وهو فعل إخباري عن مجازاة الله تعالى عن كل عمل، مما فيه إغراء بالعبادات والإقبال عليها، وكل جمل الشرط مقرونة بجمل أجوبتها، دون فاصل، كنحو الجمل الاعتراضية، تعجيلاً للثواب وذلك منسجم مع هدف الحديث الساعي إلى الترغيب في أداء صلاة الجمعة.

ومن الوعديات، الحديث الثاني عشر:

عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالكم لا تتكلمون؟ من قال سبحان الله وبحمده، كتب الله له عشر حسنات، ومن قالها عشراً، كتب الله له مائة حسنة، ومن قالها مائة مرة، كتب الله له مائة حسنة، ومن زاد، زاده الله، ومن استغفر، غفر الله له، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في حكمه، ومن اتهم بريئاً، صيره الله إلى طينة الخبال حتى يأتي بالخرج مما قال، ومن انتفى من ولده يفضحه به في الدنيا، فضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيمة ».^(١)

الفعال	زمن الفعل	عدد	المضارعة
تكلمون، يأتي، يفضحه	03		
كتب، قالها، كتب، قالها، كتب، زاد، زاده، استغفر، غفر ، حالت، ضاد، اتهم، صيره، قال، انتفى، فضحه،	16		الماضية
//	00		الأمرية

(١) أرجو تحذيف حديثنا حـ 61.

أفعال هذا الحديث (تتكلمون ، قال ، كتب ، قالها ، كتب ، قالها ، كتب ، قالها ، زاد ، زاده ، استغفر ، غفر ، حالت ، ضاد ، اتهم ، صير ، انتفى ، يفصحه ، فصحه).

جل أفعال الحديث ماضية ، وتلك سمة غالبة على وعديات هذه الأربعين ، وفي أسلوب الحديث عموماً ، وذلك حملاً على تأكيد حصول ما يوعد به المرء ، أو على الدعاء له ، أو عليه ، وجل جمله من قبيل الشرط ، أتبع فيه كل شرط بجوابه ، من خير أو شر ، وفي ذلك تعبير عن الحضور الدائم للرقيب ، عز وجل ، على أعمال الناس ، صالحها وطالحها .

ومستهل الحديث جملة استفهام غرضه التعجب ، وهدف النبي صلى الله عليه وسلم الحث على الإقبال على أعمال يسيرة تعد بالكثير من الأجر ، وليس هذه الأعمال غير أقوال فقط ، مع ملاحظة ازدواجية توظيف الكلام في الخير والشر ، فمن أحسن كلامه فكان تسبيحاً ، حمداً واستغفاراً ، فهو موعد بالشفاعة ، ومن قبحه فكان اتهاماً وقدفاً ، فهو موعد بالفضيحة والعار وذلك من أبلغ طرائق التنبية إلى محاسن اللسان ومساوئه .

ومن وعديات الشhamي الحديث الثالث عشر:

فعن عبد الله بن عباس ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال رسول الله : « هل على أصحابكم دين؟ قال قلنا : نعم . قال : فقال علي بن أبي طالب : إلى دينه يا رسول الله ، هو بريء منه . قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه . قال : فقال : فك الله رهانك يا علي ، كما فككت رهان أخيك . فقال رجل وأصحابه : يا رسول الله ، أعلني خاصة؟ قال : بل

لل المسلمين عامة » ^(١) .

(1) أرجون حسناً ، ص 67 .

الأفعال	عدد	زمن الفعل
//	00	المضارعة
قال (07 مرات)، نزل، صلى، فك، فكك	11	الماضية
//	00	الأمرية

أفعال الحديث (قال، قلنا، نزل، صلى، فك، فكك).

للماضي حضوره المكثف، ومبرر ذلك الطابع القصصي للحديث، وفي بعض أفكاره غرض الدعاء.

وأما الجمل فمتعدة انسجاما مع حرکية المقام الحواري، ومستهله استفهام (هل على صاحبكم دين؟) وهو حقيقي، وفيه تنبيه للمسلمين إلى وجوب أداء دين الميت، تبرئة لذمته أمام ربه، من ماله أو بالتطوع عنه، وفي ذلك ظهر من مظاهر التضامن التي تستهدفها هذه الأربعون حديثا من جملة ما تستهدف، وثمة جملة النداء (يا رسول الله) والاستفهام الحقيقي (أعلی خاصه؟) أي أن ما وعدت به عليا بدعائك له ليس يتحقق إلا معه؟ وفي سؤالهم هذا إعلان عن الرغبة في فعل الخيرات، ويستهل النبي إجابته بحرف الإضراب (بل) توسيعة على المسلمين لباب الخير والأجر.

والحديث الثالثون:

عن جرير بن عبد الله قال: « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم راعون ربكم عزوجل كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع

الشمس، وقبل غروبها فافعلوا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب «⁽¹⁾.

زمن الفعل	عدد الأفعال	
المضارعة	03	ترون، تضامون، تغلبوا
الماضية	05	كنا، نظر، قال، استطعتم، تلا
الأمرية	01	افعلوا

ووعديات الحديث:

- إنكم راعون ربكم.
- لاتضامون في رؤيته.

يعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالرؤبة السعيدة كما يعبر علماء العقيدة، أي رؤبة الله سبحانه وتعالى يوم القيمة، ويصدر وعده بـ(إن) التوكيدية مراعاة لما يسميه سورل (درجة الشدة في المحتوى القضوي) فما توعدون به واقع لا محالة، وتداويته في بعث سرور كبير في أفئدة أصحابه، ويزيد في درجة الشدة الوعدية استثمار القيمة التعبيرية التي في صيغة اسم الفاعل (راعون) الذي لا يتقيد بزمن، فالرؤبة غير مؤقتة، إن الكوفيين يسمون (فاعل) الفعل الدائم. ومن شروط الوعد أن يكون إنجازه مستقبلا عند سورل، وذلك حاصل يوم القيمة، ويفيد قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناظرة * إلى ربها ناظرة»⁽²⁾ واليوم المقصود هو يوم القيمة اتفاقا.

وأما الوعد (لا تضامون في رؤيته)، أي لا تشكون، وفيه وعد بأمر آخر، وهو رفع الريبة في تحقيق الوعد، وأما شرط القدرة على التنفيذ، وذلك يتبع

⁽¹⁾ أربعون حديثا، ص 117. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (4/360-362-365)، والبخاري (554)، ومسلم (633).

⁽²⁾ القيمة، الآية 23/22

معتقد الإنسان، فاقراره بقدرة الله على كل شيء يكفيه، وكذا إيمانه بوساطة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول د/ يوسف القرضاوي: « والموقف السليم الذي يفرضه منطق الإيمان، ولا يرفضه منطق العقل: أن نقول في كل ما أثبته الدين من الغيبات: آمنا وصدقنا »⁽¹⁾.

ويحقق الحديث بذلك تداولية ناجحة بالنظر إلى ذلك كله، ويندرج ضمن ترغيب المؤمنين في الازدياد من العمل لأجل بلوغ هذه النعمة، عنبرة رؤية الله تعالى.

ثالثاً : الأمريات في الأربعين الشحامية :

مما رأيت إدراجه في الأمريات :

الحديث الثاني :

عن عمر بن الخطاب (ض) قال: « سمعت رسول الله (ص) يقول: « الإيمان بالنية واللسان والهجرة بالنفس والمال ». »

الفعـال	عـددـه	زـمـنـ الفـعـلـ
//	00	المضارعة
//	00	الماضية
//	00	الأمرية

ليس في الحديث أفعال، وغياب الفعل غياب صيغة لا غياب دلالة ، لأن النظر في مقصد الحديث، يكشف عن وجود فعل الطلب أي (آمنوا ناوين الإيمان وانطقوا بإيمانكم وهاجروا بأنفسكم وأموالكم) ، والتداولية تهتم كثيراً بالمقصد في المقام الأول، كما أن من الصيغ التي يتحقق بها أسلوب الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر، وان اشترط نحو العربية أن يكون هذا المصدر منصوباً على

⁽¹⁾ معلم وضوابط، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص176.

أنه مفعول مطلق مؤكّد لعامله المحفوظ، كنحو قوله تعالى: « وبالوالدين إحساناً » أي أحسنوا إحساناً .

ومن ثم، فالحديث يتوفّر على متاليين تدرجان ضمن الأمريات :

- الإيمان بالنية واللسان .

- والهجرة بالنفس والمال.

ولكن اختيار المصدر وترك فعل الأمر له مبرر تداولي، وذلك بالنظر إلى سياق الحديث، وهو سياق تعريف ببعض من قواعد هذا الدين (الإيمان والهجرة)، ومقام التعريف يليق فيه التعبير باسم المعرف به، وكان التقدير : الإيمان : ما وقر في القلب، وعبر عنه في اللسان، و الهجرة : ما كانت بالنفس والمال، وإن كان المقصود رأساً، هو الأمر بالشيء بعد إيضاح ماهيته، وتعريف المسلم بالعبادة، وإيقافه على ماهيتها، أدعى لأن يجعله يقبل عليها، إذا أمر بها بعد ذلك، وهذا المصلحة التي يريدها الحديث .

وأما الجمل، فشتنان اسميتان دالتان على الثبات، وذلك لهدفه المتمثل في الصياغة الثابتة لما هيبة الشيء التي لا ينسخها تقلب الزمان ، فالزمان هنا لا موقع له بالنظر إلى السياق والمقصد .

وفي الحديث تقديم للإيمان على الهجرة، ولهذا الترتيب هدفه، فليس تصح هجرة بغير إيمان صحيح . والإسلام يصبو إلى أن يقرن كل عمل من أعمال المسلم بنية .

والحديث التاسع والعشرون:

عن عوف بن مالك الأشعري قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الأنصار، فسمعته يقول: « اللهم صلّ علّيه، واغفر له، وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم مثواه ومنقلبه، واغسله بماء وثلج وبرد

ونقه من ذنبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدل دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله وقه عذاب القبر»⁽¹⁾.

الفعال	عدد	زمن الفعل
ينقى	01	المضارعة
//	00	الماضية
صل، اغفر، ارحم، عاف، اعف، أكرم، أغسله، نقه، أبدل، قه	10	الأمرية

وأمريات الحديث:

- صل عليه
- اغفر له
- ارحمه
- عافه
- اعف عنه
- أكرم مثواه
- أغسله
- نقه
- أبدل

وغرضها هنا الدعاء طبعا، وطلب كل ما هو خير لهذا الرجل، ويستهل المصطفى بالنداء وهذا إنشاء طبلي، وأداة النداء محنوفة، والميم في (اللهم) عوض عنها، واستعمل في طلبه العناية الألوهية لا الربوبية مثلا فقال: «يا الله»

⁽¹⁾ أربعون حديثا، ص 115. والحديث صحيح، أخرجه الطبراني (18/59).

ولم يقل: «يا رب»، لما في الألوهية من معنى استحقاق العبادة دون غيره، ولذلك يقال في الدعاء المأثور على الميت: «كان يشهد أن لا إله إلا الله» فيا الله إن هذا الميت كان يشهد لك بالألوهية، وفيه أيضا تخصيص الله تعالى بهذا الاسم الذي لم يتسم به غيره⁽¹⁾، ورسالة ذلك أن لادعاء إلا الله وحده، وأما الربوبية فإحالة على التدبير والبلوغ بالشيء إلى كماله، ومنه التربية وليس في ذلك ما يلائم المقام فإن النبي ما طلب نماء لشيء، أو استزادة من خير دنيوي للرجل، والرجل كان يشهد بصلته بك، لا بغيرك، فخصص بالعبادة، فخصه بالصلة، فضل عليه، والصلة من الصلة، فاستهل بها النبي طلبياته الدعائية، وفي ترتيبها ملمح تداولي رائع، لا يعبر عن الإبلاغ للمعاني فحسب، وإنما اقتضى الأمر سردتها على غير ما ترتيب ، ولكنه يعبر عن الأداء، والأداء إيصال للشيء على النحو الذي يجب أن يكون عليه في صورته المثلثي، لا على نية إخراجه فقط⁽²⁾، ثم يأتي طلب الرحمة، والرحيم الذي خص أهل وده بإتمام النعمة في جميع أمورهم، فهو يطلب من الله بعد أن يصله أن يغفر له، ويتم النعمة بالرحمة، ثم يطلب العافية، وأصل العافية الترك، أي اترك ما قد أحصيتك عليه من معاشر، ومنه: (اعفوا اللهم) أي اتركوها تطول، وهكذا إلى بقية أمريات الحديث التي رتبت على نحو مطابق لما سيحدث، كما يقرر سورل في شروط نجاح المحتوى القضوي،⁽³⁾ ورسالة الحديث إعانة الميت بالدعاء.

⁽¹⁾ العسكري، الفروق في اللغة، ص180.

⁽²⁾ من، ص44.

⁽³⁾ المقاربة التداولية، ص84.

رابعاً : الإيقاعيات في الأربعين الشحامية :

تسجل هذه حضوراً لافتاً في الحديث النبوي عموماً، بالنظر إلى ما أوقعته الدعوة المحمدية في واقع حياة العرب، وشرطها مطابقتها للعالم، ووقوعها بنجاح، ولا ريب في نجاح الدعوة المحمدية، بدليل واقع الحال قبل الجاهلية وبعدها.

ومن هذه الإيقاعيات الحديث الأربعون:

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن لي أسماء. أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحasher الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده أحد»⁽¹⁾.

ال فعل	عدد	زمن الفعل
يمحو، يحشر	02	المضارعة
//	00	الماضية
//	00	الأمرية

وإيقاعيات الحديث:

- أنا الماحي.

- أنا الحasher.

- أنا العاقب.

يستهل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بتأكيد تعدد أسمائه، ثم يسردتها بدءاً بأنه محمد، والمحمد الأكثر حمداً لشمائله من المحمود، وهو أحمد، ويوقع محمد

⁽¹⁾ شمس الدين طليقى، أربعون حديثاً، ص 139. انظر: نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر ص 69. والحديث صحيح، أخرجه أبو عبد الله البخاري (4896/فتح)، وابن حجر العسقلاني (80/4).

وأحمد في العالم تغييرا بإزالة معالم الشرك والكفر، فهو الماحي لذلك، والتعبير باسم الفاعل لعدم تقيد ذلك بزمان، فهو الذي محا، وسيظل ماحيا، إلى ما شاء الله من الزمان، وشرطه، كما يقرر سورل، أن يؤدى الفعل بنجاح، ولا شك في ذلك مع رسول الله، فما مات إلا وقد ترك الشيطان يائسا من أن يعبد في الأرض، كما جاء في خطبة الوداع، ومع العاقب الذي هو من العقب الذي هو آخر الشيء، وقد نجح في ذلك، وواقع الحال يصدقه، فالحديث ناجح تداوليا إلى حد بعيد، وأما الحasher فالمحتكم إليه فيه العقيدة.

خامساً : البوحيات في الأربعين الشحمانية :

لم يفرق سوراً بين أن تعبّر البوحيات عن حالات نفسية للمتكلّم رأساً، أو لغيره، وأغتنم ذلك للحديث عن حديث يعبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسية غيره، والمهم أن لا شرط قضوي للبوحيات لارتباطها بنفس المتكلّم. واتجاه المطابقة الفراغ، لعدم الصلة بين القول فيه والعالم، وإنما بينه وبين النفس.

ومن بوحيات هذه الأربعين، الحادي عشر منها :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « إن الله سبحانه وتعالى يباهي عشيّة عرفة بأهل عرفة ، يقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً »

الأفعال	زمن الفعل	عدد	المضارعة
يباهي، يقول	02		الماضية
//	00		
انظروا	01		الأمرية

في هذا الحديث حضور لأدوات إبلاغية تكفل بلوغ الرسالة على نحو ناجح، براغماتي، أي أنه مشكل تشكيلياً يحقق في متألقيه عنصري الإقناع والتأثير. وأفعاله هي (يباهي، يقول، انظروا) وقد صرفت كلها إلى المستقبل، للتعبير عن أن مباهاة الله ملائكته بأهل عرفة دائمة، مستمرة، ومتعددة، وهي مباهاة تحدث عند كل وقفة، ليغرّ المؤمنين بالاهتمام بهذه الشعيرة المقدسة ، وهذا من باب النفاذ إلى القلوب والأفئدة، لجعلها تهوي إلى الحج ومتناشه، والاهتمام أكثر بهذه الوقفة، والحج عرفة، هذا عن التأثير.

ولنا أن نلاحظ مع ذلك هذا التكرار لكلمة (عرفة) وكأنه من باب الإغراء بها ، إذ لم يقل: « بياهي ملائكته عشية عرفة بأهلها » ، وهو أوجز ، ولكن في التكرار وظيفة نوعية ، وفي اختيار الفعل " بياهي " إشارة إلى توازن ممتاز في بنية الحديث ، فهو من المباهاة ، والبهي من الأمور جميلها و حسنها ، إذ لا بياهي إلا بالجميل ، فأهل عرفة على قدر عظيم من الجمال ، أثناء وقوفهم ، عند الله تعالى ، رغم كونهم شعثا غبرا ، وهذا تشجيع للنفوس على مقاومة مشاق الرحلة إلى بيت الله الحرام .

ثم هو عز وجل بياهي ملائكته ، لا غيرهم ، والملائكة ما كانوا إلا للعبادة فحسب ، ورغم ذلك فالله لا بياهي بهم الحجيج ، و إنما بياهיהם هم بالحجيج ، وفي ذلك إحلال لهم منزلة رفيعة .

وفي الفعل (انظروا) الموجه إلى الملائكة ، إقامة للدليل الحسي على أنه ما دعاهم للسجود لأدم عبثا ، لأن في بنيه من قد ابتلاهم بمشاق كبيرة ، تجشموها للحج ، لكنهم اصطبروا عليها ، إجابة لداعي الطاعة والتقوى الخالصة لوجهه الكريم .

أما الإقناع ، فمصلحة أخرى يستهدف الحديث تحقيقها ، وقد وظف لها الاستفتاح بالأداة (إن) المؤكدة ، لطمئن القلوب إلى أنها مباهأة ثابتة ، لا ريب فيها ، مع كل وقفة ، والأداة (إن) ، تحقق في مفاهيم التداولية ، ما يسميه سورل ، ضمن شروطه المحققة للقوة الكامنة في المحتوى القصوي المتضمن في القول ، درجة الشدة للغرض المتضمن في القول ، بمعنى :

- 1- الله بياهي ملائكته .
درجة الشدة للغرض منعدمة .
- 2- إن الله بياهي ملائكته .
درجة الشدة عالية بـ (إن) .

فالقضية (2)، أدعى لأن تؤثر وتقنع من القضية (1)، والمقام في الحديث مقام إقناع للمؤمنين بأن ما يلقونه من أحوال السفر، وخاصة مظاهره القبيحة، ليست في حقيقتها عند الله إلا جمالا خالصا يباهي الله به ملائكته.

والحديث الثالث والعشرون:

عن عبد الله بن مسعود (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عزوجل جعل حسنة ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلا الصوم فالصوم لي، وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيمة، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»⁽¹⁾.

الأفعال	عدد	زمن الفعل
أجزي	01	المضارعة
جعل	01	الماضية
//	00	الأمرية

وبوحيات الحديث:

- فرحة عند إفطاره.
- فرحة يوم القيمة.

يصرح الصائم عن وضع نفسي معين عند إفطاره، وهو الفرح، وشرطه كما احترز سورى أن يسبق بما يحمل عليه، أي على الفرح، وهو لا شك الخلاص من مكابدة النفس للكف عن شهوتى البطن والفرج، وهي فرحة يحرمها التارك

⁽¹⁾ أربعون حديثاً، ص 98. وإن شدادة ضعيف وهو صحيح، أخرجه أحمد (1/ 446).

للصوم، وهذه هي رسالة الحديث، كما تعظم هذه الفرحة عند لقائه بربه، لأنه يلقاء بعمل صالح وأهلية للجنة.

ويعمل النبي على تحقيق الإطباب من خلال التفصيل بعد الإجمال، ولذلك بلاغته وتداويته المؤثرة في المتلقى، فيذكر (فرحتان) ثم يذكر الأولى وبعدها الثانية ليكثر من ورود كلمة الفرحة في الحديث، فهي ثلاثة مرات، ورسالته الترغيب في الصيام وجعله فرحا كلها، فالإطباب أولى في المقام من الإيجاز أو المساواة، وذلك من أمارات بلاغة البليغ الذي يرعى لكل مقام مقاله، والبلاغة مراعاة المقال لمقتضى الحال.

خاتمة

خاتمة :

التبليغ: مسألة استفرزت بحث الإنسان منذ آماد بعيدة، لشعوره العميق بضرورة الحفاظ على كل ما يكفل له حياة اجتماعية متماسكة، ومنها من طاقة بحثه على قدر إيمانه بضرورة ذلك البحث فيها، فأعلت حضارات كثيرة - قدماً وحديثاً - من شأن اللغة، فكان النحو وفقه اللغة واللسانيات، واتخذت اللسانيات من اللغة ميداناً لها، وأرادت له أن يكون مستقلاً باهتماماتها، وكان بحث اللساني من اللغة وإلى اللغة، وانتبهت اللسانيات الحديثة إلى أن مبحثها على قدر غير هين من التعقيد و التشابك ، لأنها انتبهت إلى أن الحياة الاجتماعية وحركية الواقع كامنان داخل اللغة، فبحثت من خلال منهج من مناهجها عن ميكانيزمات تلك العناصر اللغوية ضمن الحياة الاجتماعية، وكانت التداولية .

والتداول لفظ يدل على ما يدل عليه التبادل، الأخذ والرد، الإرسال وكيفياته، الاستقبال وشروطه، والأثر النهائي الذي يصنعه ذلك كلّه، والأثر قد يعبر عنه بأنه النجاح في الأداء اللغوي، مما الذي توافر في العملية التبلّغية الناجحة فنجدت ؟.

أعتقد أن التداولية منهج يسعى للإجابة عن كيفية تحقيق العمل التبلّغي لمصلحة، وذلك نجاحه، وهذا يحيل على أن كل بنية لغوية ما نسجت إلا لتحقيق هدف مصلحي ، نفعي براغماتي .

والأربعون حديثاً الشحامية اصطفاها جامعها لمصلحة اقتضتها خصوصيات الخطاب الدعوي، منها الترويج لمبادئ الإسلام الأساسية التي تحيط بحياة المسلم و تستوعبها .

ولعل هذا ما جعل أحاديثها تستجيب للقراءة التداولية، ومن ثم كان هذا العمل الذي انتهى إلى هذه النتائج :

- =1 التداولية اهتمام بنجاح الخطاب الغوي في الحصول على مراميه وتحقيق مصالحه المخطط لها سلفاً لمقتضى من المقتضيات وذلك ضمن سياق الحياة الواقعية بكل مراجعها.
- 2 التداولية محصلة بنية فكرية فلسفية ترتد إلى البحث اللغوي الإغريقي وما تلاه من جهود سعت إلى صياغة نسق مقولاتي تصنify للغة، وهو مبرر تعدد صياغاتها لدى المهتمين بها غرباً وعرباً.
- 3 إن الدرس اللغوي، النحوي والبلاغي، العربي الموروث يتتوفر على الكثير من الأفكار التداولية من خلال اهتمامه بعناصر العملية التخاطبية كلها وإن بعض الدارسين المحدثين عدوا التداولية - بمقتضى ذلك - صياغة جديدة للبلاغة القديمة.
- 4 تحضر في الدرس اللغوي الغربي مؤسسات نظرية كثيرة ومشاركات مفهومية غير قليلة عملت ولو بشكل غير هين رصده على بناء الصرح التداولي، أي أعمال بيرس وموريس وفيتنجشتاين وفريج وستانكلار و ... غيرهم من اللسانيين أو فلاسفة اللغة الغربيين.
- 5 يسجل أوستين ريادة في صنع البعد التطبيقي للطرح التداولي من خلال اكتشافه في خمسينيات القرن الماضي لنظرية الأفعال اللغوية التي أزاح بها وهمما عالقاً باللغة منذ آماد بعيدة مظهراً عدم الدقة في تصنيف الجملة في اللغة .
- 6 يسجل سورل إدراكاً أكثر وعيَاً بوجوب التدقيق في تقسيمات أستاذه أوستين، من خلال صياغته لأسس المتضمنات في القول أو شروط

المحتوى القصوي، وهو ما جعله يخرج بتقسيمات أخرى بناء على تلك الصياغة .

- الأربعون الشامية نص نسج لرؤيه تداولية ومقتضى مصلحي يستهدف تلك الأثر في حياة المسلمين من خلال إشاعة نصوص تمس جوانب حياتهم الدينية جميعاً، عقيدة وأحكاماً .

- نصوص الأربعين عامرة بالأدوات الإبلاغية وطرائق تشكيلها المتنوعة بما يستجيب لواقع الحياة وتقلباتها، من مثل:

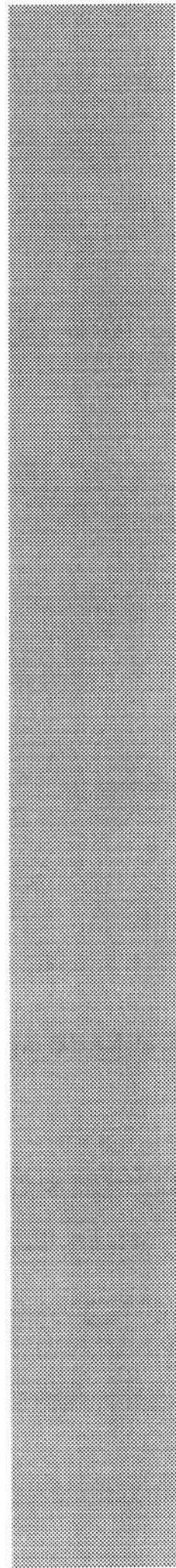
- الحضور المكثف للفعل بكل أزمنته (الماضي، الحاضر، المستقبل)، انسجاماً مع حركية الحياة ذاتها، مع تنوع صيغه (الماضي، الأمر، المضارع) التي ساهمت في إيجاد الروح القصصية الجذابة والمغرية في بعض الأحاديث وفي التعبير عن الغيبيات، وما سيكون في آخر الزمان، وكان الأمر ذا إسهام في نسج مقاصد التشريع وسن الأحكام.

- تنوع جملها بين الإخبار والإنشاء، تبعاً لمقتضيات المقامات والسيناقيات.

- توخي البساطة في اللغة بالللغة المعروفة والتعبير المأثور، مما فيه مزيد ضمان لرواج هذه الأربعين في المجتمع الإسلامي.

- تفاوت التراكيب طولاً وقصراً، إيجازاً وإطناباً ومساواة، وذلك يبرره مقتضيات المقام، وطبيعة المصلحة المخطط لها سلفاً، والتي يستهدف الحديث بلوغها.

وليس يقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أنه أفصح العرب.



مـلـحـق

ملحق :

الحديث الأول :

(من اغسل يوم الجمعة، غسلت ذنبه وخطيئاته، فإذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجزى بعمل مائتي سنة).

* * *

الحديث الثاني :

(الإيمان بالنية واللسان، و الهجرة بالنفس والمال) .

* * *

الحديث الثالث :

(أدخل الله الجنة رجلاً كان سمحاً بائعاً، ومشرياً ، وقاضياً ، ومقتصياً) .

* * *

الحديث الرابع :

(إن فاتحة الكتاب وأية الكرسي والأياتين من آل عمران :

«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقَسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » .

و﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَا لَكَ مِنْ مَالٍ تُوتِي الْمَلَكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلَكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَعْزِيزُ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَذْلِيلُ مِنْ تَشَاءُ بِيْدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تَوْلِيجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَتَوْلِيجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَتَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيْتِ ، وَتَخْرُجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ ، وَتَرْزِقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

هن مشفعت، ما بينهن وبين الله حجاب، فقلن : يا رب، تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك ؟ قال الله تعالى : بي حلفت، لا يقرأهن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه، وإنما أسكنته حظيرة القدس، وإنما قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة .

* * *

الحديث الخامس :

(جاء رجل من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل رسول الله (ص) عن الإسلام ، فقال : خمس صلوات في يوم وليلة ، قال : هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال رسول الله (ص) وصيام شهر رمضان قال : هل على غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : وذكر له رسول الله (ص) الزكاة، قال : هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : فأدبر الرجل وقال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . قال رسول الله (ص) : أفلح إن صدق) .

* * *

الحديث السادس :

(لأن يأخذ أحدهم حبله ، فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره ، فيكيف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه) .

* * *

الحديث السابع :

(إن من السعادة المركب الصالح ، والمسكن الصالح، والزوجة الصالحة. وإن من الشقاء المركب السوء ، والمسكن السوء، والزوجة السوء) .

الحديث الثامن :

(أبو بكر في الجنة ، وعمر بن الخطاب في الجنة ، وعثمان بن عفان في الجنة ، وعلي بن أبي طالب في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد ابن أبي وقاص في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وطلحة بن عبد الله في الجنة، وذكر التاسع آخر فقال : قلنا من هو ؟ قال : فسكت . قال : قلنا من هو ، سعيد بن زيد ؟ قال : فأرسل دموعه رضي الله عنهم أجمعين).

* * *

الحديث التاسع:

(دخلت المسجد فرأيت رسول الله (ص) خارجا من المسجد ، فاتبعته أمشي وراءه ولا يشعر بي ، ثم دخل نخلا فاستقبل القبلة فسجد ، فأطالت السجود ، وأنا وراءه حتى ظننت أن الله عزّ وجل توفاه ، فأقبلت أمشي حتى جئته فطأطأت رأسي أنظر إلى وجهه ، فرفع رأسه فقال : مالك يا عبد الرحمن ؟ فقلت : لما أطلت السجود يا رسول الله ، خشيت أن يكون الله عزّ وجل توفا نفسك ، فجئت أنظر . فقال :

إني لما رأيتني دخلت النخل لقيت جبريل عليه السلام فقال : أبشرك أن الله عزّ وجل يقول : من سلم عليك سلمت عليه ، ومن صلي عليك صليت عليه).

* * *

الحديث العاشر :

(في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض و الفردوس أعلى و أوسطها ، فوقها عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله ، فسألوه جنة الفردوس).

الحديث الحادي عشر :

(إن الله سبحانه وتعالى يباها ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، يقول:
انظروا إلى عبادي شعثا غبرا) .

* * *

الحديث الثاني عشر :

(مالكم لا تتكلمون ؟ من قال سبحان الله وبحمده كتب الله له بها عشر حسنات ، ومن قالها عشرًا كتب الله له بها مائة حسنة ، ومن قالها مائة مرة كتب الله له ألف حسنة ، ومن زاد زاده الله ، ومن استغفر غفر الله له ، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في حكمه، ومن اتهم بريئا صيره الله إلى طينة الخبال حتى يأتي بالخرج مما قال ، ومن انتفى من ولده يفضحه في الدنيا ، فضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيمة) .

* * *

الحديث الثالث عشر :

(هل على أصحابكم دين ؟ قال قلنا : نعم ، قال : دونكم أصحابكم . قال : فقال علي بن أبي طالب : يا رسول الله ، هو بريء منه ، قال : فنزل رسول الله (ص) قال : فقال : فك الله رهانك يا علي كما فكت رهان أخيك . قال: فقال رجل وأصحابه : يا رسول الله ، ألي خاصه ؟ قال : بل للمسلمين عامه) .

* * *

الحديث الرابع عشر :

(كنا مع رسول الله (ص) في مسيرة فقال : استغفروها، فاستغفرونا. فقال : أتموها سبعين مرّة. فقال رسول الله (ص) : ما من عبد ولا أمّة يستغفر الله يوم سبعين مرّة، إلا غفر الله له سبع مائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمّة عمل في يوم وليلة أكثر من سبع مائة ذنب).

الحديث الخامس عشر :

(إِنِّي كَائِنُ قدْ دُعِيتُ فَأَجْبَتُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيمَكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ : كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَنْتَرِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَزَالَا جَمِيعاً حَتَّى يَرْدَا الْحَوْضَ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا) .

* * *

الحديث السادس عشر :

(احتجَ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ بِيدهِ وَنَفَخَ فِيَكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ ! قَالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، تَلَوْمِنِي عَلَى شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ! قَالَ : فَحِجْ آدَمُ وَمُوسَى) .

* * *

الحديث السابع عشر :

(إِنْ لَكُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ حِجَّةٌ وَعُمْرَةٌ، فَإِنَّمَا الْحِجَّةَ فَالْتَّهِجِيرُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَأَمَّا الْعُمْرَةُ فَانتَظِرُ صَلَاةَ الْعَصْرِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ) .

* * *

الحديث الثامن عشر :

(كُنْتَ آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بِوْضُوئِهِ وَحاجَتِهِ فَقَالَ : سَلَّنِي، قَلْتَ : مَرَافِقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ ؟ قَلْتَ : هُوَ ذَاكُ، قَالَ : فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) .

* * *

الحديث التاسع عشر :

(في الإنسان ثلاثة مائة وستون مفصلاً، على كل مفصل منها صدقة، قيل : يا رسول الله، ومن يستطيع ذلك ، قال : أليس ينحني أحدكم الأذى عن الطريق ، ويبزق في المسجد ويدهنها ، فإن لم يفعل فإن ركعتي الضحى تجزيه).

* * *

الحديث العشرون :

(أملأ على المغيرة بن شعبة كتاباً : إن رسول الله (ص) كان إذا قضى الصلاة قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قادر ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ).

* * *

الحديث الواحد والعشرون :

(إني أتخوف على أمتي من بعدي الشرك والشهوة الخفية، فقلت : يا رسول الله ، أو تشرك أمتك من بعدك ؟ قال : يا شداد، إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً، ولا حبراً، ولا وثناً ، ولكنهم يراغعون بأعمالهم . فقلت : يا رسول الله ، وما الشهوة الخفية ؟ قال : يصبح أحدهم صائماً، فتعرض له شهوة من شهواته ، في الواقع شهواته ويدع صومه).

* * *

الحديث الثاني والعشرون :

(لا تزول قدم العبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفاده، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ما صنع فيه، وعن ماله فيما أنفقه).

الحديث الثالث والعشرون :

(إن الله عزّ وجلّ جعل حسنة ابن آدم بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلا الصوم فالصوم لي وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيمة، و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

* * *

الحديث الرابع والعشرون :

(يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه، أفي أمر جرت به المقادير فجفت به الأقلام ، أم في أمر نستأنفه ؟ قال : بل في أمر جرت به المقادير وجفت به الأقلام. قالا: ففيما العمل يا رسول الله ؟ قال اعملوا بكل مسیر لما خلق له. قالا: الآن نجد ونعمل).

* * *

الحديث الخامس والعشرون :

(أنا أول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي فأعرف أمّي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمّي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمّي من بين الأمم، وأنظر خلفي فأعرف أمّي من بين الأمم، قال رجل : يا نبي الله، كيف تعرف أمّتك من بين الأمم، ما بين نوح إلى أمّتك؟ قال : نحن غرّ محجّلون من آثار الوضوء، ولا يكون أحد من بين الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم أنّهم يؤمنون بآياتهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنور يسعى بين أيديهم).

* * *

الحديث السادس والعشرون :

(أعطيت أمّي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن النبي قبله : أَمَّا واحدة : فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً. وأمّا الثانية : فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمّا الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم. وأمّا الرابعة : فإن الله يأمر جنته أن استعدّي، وتزيني لعبادي، فيوشك أن يذهب عنهم نصب الدنيا وأذاها، ويصيروا إلى رحمتي وكرامتي. وأمّا الخامسة : فإذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً . قال : فقال قائل، هي ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال : لا، ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفوا) .

* * *

الحديث السابع والعشرون :

(كان رجل سيء الظن بعمله، فقال لأهله : إذا مات فحرقوني، ثم اطحئوني في الريح، في يوم عاصفة، فإنه إن قدر على لم يغفر قال : فعل ذلك به، فجمعه الله فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : مخافتكم، قال : فغفر له) .

* * *

الحديث الثامن والعشرون :

(خطبنا رسول الله (ص) آخر يوم من شعبان فقال : يا أيها الناس، إنه قد أضلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، فرض الله صيامه، وجعل قيامه تطوعاً، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة، فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وشهر يزداد في

رزق المؤمن فيه ، ومن فطر صائما كان كمعتق رقبة، ومغفرة لذنبه، قيل: يا رسول الله أليس كلنا يجد ما يفطر الصائم؟ قال : يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن ، أو تمرة أو شربة ماء، ومن شَبَعَ صائما كان الله مغفرة لذنبه، وسقاوه الله من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل الجنة، وكان له مثل أجره من غير أن يتقصى من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وأخره عتق من النار، ومن خف عن مملوكيه فيه اعتقه الله من النار .

* * *

الحديث التاسع والعشرون:

(اللهم صل عليه، واغفر له، وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم مثواه ومنقلبه، واغسله بماء وثلج وبرد ونقه من ذنبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله وقه عذاب القبر) .

* * *

الحديث الثلاثون :

(كنا جلوسا عند رسول الله (ص) فنظر إلى القمر ليلة بدر فقال: إنكم راعون ربكم عزّ وجلّ كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثم تلا رسول الله (ص) : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ») .

* * *

الحديث الحادي والثلاثون:

(شعبان بين رجب وشهر رمضان، تغفل الناس عنه، ترفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يرفع عملى إلا وأنا صائم، قلت : أراك تصوم الاثنين والخميس لا

تدعهما، قال : إن أعمال العباد ترفع فيهما، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم).

* * *

الحديث الثاني والثلاثون :

(مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تميلها الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا. ومثل المنافق كمثل الأرزة المجنوبة على الأرض، حتى يكون انجعافها مرة).

* * *

الحديث الثالث والثلاثون :

(اللهم اغفر لحيتنا، وميتنا ، وشاهدنا، وغائبنا ،وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا. وحدث بهؤلاء الكلمات وزاد معهن : اللهم من أحيايته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان).

* * *

الحديث الرابع والثلاثون:

(إن الحلال بين وإن الحرام بين، وإن بين ذلك أموراً متشابهات ، وربما قال مشتبهة، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً : إن الله تعالى حمى حمى ، وإن حمى الله محارمه، وإنه من يرع حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى، وربما قال : وإنه من يخالط الريبة يوشك أن يجسر).

* * *

الحديث الخامس والثلاثون:

(كان في حائط بالمدنية على قفة البئر، مدلياً رجليه في البئر، فدق الباب أبو بكر ، فقال له رسول الله(ص) : ائذن له وبشره بالجنة. فدخل أبو بكر فدلا رجليه في البئر ، ثم إن عمر بن الخطاب دق الباب فقال: ائذن له وبشره

بالجنة، ففعل، ثم دق الباب عثمان، فقال رسول الله (ص): اذن له وبشره بالجنة، وسيلقى بلاء، فعل ، ودخل عثمان وعيناه تذرفان).

* * *

الحديث السادس والثلاثون:

(أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة جالس فلما رأني أقبلت قال: هلك الأكثرون رب الكعبة، هلك الأكثرون رب الكعبة قال: فأخذني غم، وجعلت أتنفس فقلت: هذا شيء حدث، قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: الأكثرون إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه، وقليل ما هم، وما من رجل يموت ويترك إبلا أو غنما، لم يؤد زكاتها إلا جاءت يوم القيمة أعظم ما كانت، حتى تطوه بأظلافها، وتتطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس ثم يعود أولها على آخرها).

* * *

الحديث السابع والثلاثون:

(يا رسول الله، إني في غائط مضبة، وإنه عامه طعام أهلي؟ فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، فجعلنا نقول: عاوده، فلم يجبه، ثم عاوده الثالثة فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله لعن أو غضب على قوم من بنى إسرائيل، فمسخوا دواب يدبون في الأرض، ولست أكلها، ولا أنهى عنها).

* * *

الحديث الثامن والثلاثون:

(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يتمنون الصفوف المقدمة، ويترافقون في الصف).

الحديث التاسع والثلاثون:

(يا من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته).

* * *

الحديث الأربعون:

(إن لي أسماء. أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحasher الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده أحد).

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

- ١/ القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.
- ٢/ الشحامي (أبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي)، أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً عن أربعين صحابياً، حققه وخرج أحديه أبو عبد الرحمن بن عيسى الباتي، قدم له عبد القادر الأرناؤوط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002 .

ثانياً: المراجع :

- ٣/ أحمد محمد العليمي، طرائق النبي في تعليم أصحابه، سلسلة الصحوة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2003.
- ٤/ أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تتميتها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 212 ، 1996 .
- ٥/ أحمد محمد النجيفي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982 .
- ٦/ الأصفهاني (أبو الفرج) الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت لبنان، الطبعة السادسة، 1983 .
- ٧/ أنور المرتجي، سيماء النص الأدبي،
- ٨/ بير جيلرو، علم الإشارة السيميولوجيا ، ترجمة د/ مندر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992 .

- 9/ **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر) *البيان والتبيين*، تحقيق د/ عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، الطبعة الرابعة، 1975.
- 10/ **الجرجاني** (عبد القاهر) *دلائل الإعجاز*، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ? 1982.
- 11/ جسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن محمد أيوب، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط ? 1945.
- 12/ ابن جني (أبو الفتح عثمان) *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط ? ت ?.
- 13/ **الجيلاوي** دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ط ? 1992.
- 14/ **حازم القرطاجني**، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986.
- 15/ حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1980.
- 16/ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلامي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، 1971
- 17/ **خولة طالب الإبراهيمي**، مبادئ في اللسانيات، سلسلة كلية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
- 18/ **الذهبي** (شمس الدين)، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985.

- 19/ الرافعي (مصطفى صادق)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط ؟ ، 2003 .
- 20/ رمزي نعاعة، من هدي السنة، دار الشهاب ، الجزائر، ط ؟ ، ت ؟ .
- 21/ ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د/ كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب القاهرة، 1975.
- 22/ السكاكى، مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ؟ ، ت ؟ .
- 23/ سيبويه ، الكتاب، تحقيق د/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 1991.
- 24/ السيوطي ، لب الباب في تحرير الأنساب، دار الفكر ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
- 25/ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أبي مصعب محمد سعيد البدرى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 1995.
- 26/ الصابوني، من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، مكتبة رحاب ، الجزائر، الطبعة الثانية، 1986.
- 27/ صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2001.
- 28/ طه حسين، كتب ومؤلفون، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984.
- 29/ عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985.

- 30/ عبد القادر حسين، أثر النهاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، ط؟ 1975.
- 31/ عبد الرحيم العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، بيروت، لبنان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط؟ 1947.
- 32/ عز الدين علي السيد، الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1986.
- 33/ عزمي إسلام ، مفهوم المعنى: دراسة تحليلية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، 1985.
- 34/ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى شويمي، المكتبة اللغوية العربية، ط ؟ 1964 .
- 35/ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ت؟.
- 36/ فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش،
- 37/ ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، شرح ومراجعة سعيد محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1963.
- 38/ القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وظوابط، الدار ؟ ط ؟ ت ؟.
- 39/ المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1963.
- 40/ محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ت ؟

- 41/ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب ط ؟ 1999.
- 42/ ابن منظور، لسان العرب، سلسلة تراثنا، القاهرة ط ؟ ت ؟.
- 43/ ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة د/ سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
- 44/ النووي، شرح الأربعين النووية، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط ؟ ت ؟.
- 45/ هربرت باركلي ، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة د/ قاسم المقادد، وزارة الثقافة، سوريا، الطبعة الأولى، ت ؟ .

ثالثا : المقالات والمجلات :

- 1/ سعيد علوش ، المقاربة التداولية ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، 1986.
- 2/ محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجي ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، العدد الأول، معهد اللغة العربية وأدابها ، جامعة تلمسان، الجزائر.
- 3/ محمد محمد يونس علي ، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر ، الكويت، العدد الأول، 2003.
- 4/ طالب هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، 99/98.

رابعاً: الرسائل الجامعية :

- راضية بوبكري، الأحاديث النبوية في ضوء اللسانيات التداولية،
رسالة ماجستير، جامعة عنابة، قسم الأدب العربي، 2001-2002.

خامساً: المراجع الأجنبية :

- 1/ Jacques-Moeschler et Antoine Auchlin, *Introduction à la linguistique contemporaine*, librairie Armand Colin, Paris , 2001.
- 2/ Catherine Orecchioni , *La Conversation* , collection Mémo, Seuil, 25, Paris, 1996.
- 3/ Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, *Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*.
- 4/ Greimas et Courtés, *Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette, Paris , 1993
- 5/ Marie-noëlle Gary-Prieur, *Les termes clés de la linguistique*, collection Mémo, Seuil, 123 , Paris 1999.
- 6/ Petit larousse. Paris. Edition 1987
- 7/ Cathrine Orecchioni, *l'énonciation de la subjectivité dans le langage* , librairie Armand Colin, Paris ,1980.
- 8/ Eric Grillo, *La philosophie du langage* collection Mémo, Seuil, 77, Paris, 1997.

الملاخص

لهاذا البحث مقوله تتلخص في إمكان الاعتراف للحديث النبوى الشريف للقراءة التداولية، بما تحمله هذه القراءة من أدوات ومبادئ، لذا جاء عنوانه على هذا النحو : (الأربعون حديثاً للشhamي، من منظور لساني تداولي). وقد ضمت دفتاه فصولاً ثلاثة تقدمها مقدمة ومدخل، ويعقبها خاتمة وملحق.

جعلت المقدمة فيه لما يجب أن تكون عليه كل مقدمات البحث العلمية الأكاديمية وذلك كالإشارة إلى الأسباب الداعية إلى اختيار الموضوع رأساً، وكذكر المنهج المعتمد في أثناء دراسته و ... إلخ. وطرقت في المدخل مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً، وتعريف المدونة، مجال الإجراء، كاتباً ونصاً.

وسعى في الفصل الأول إلى رصد مفاهيم التداولية العامة في الدراسين العربي والغربي، وجعلت هذا آخراً كي يسلمني إلى فكرة الفصل المولى، وقد كانت مفاهيمها العامة حاضرة بقدر في اهتمامات بلاغييناً القدماء، أما الدرس الغربي فقد توفر على ما يمكن عده أصولاً ومؤسسات للطرح التداولي الذي تشير دراسات إلى أنه لم يبلغ أشدّه بعد.

وعقدت الفصل الثاني للحديث عن إسهامي "أوستين Austin" و " سورل Searle " ، في هذا الحقل اللساني تأسيساً على أنهما تقدما به تقدماً له خطره من خلال خروجهما بنظرية الأفعال الكلامية (Actes de Langage) .

وأما ثالث الفصول فاجتهدت في أن أخوض فيه غمار التطبيق على نص المدونة الحديثية، ساعيا إلى البرهنة على وجود الفكرة البراغماتية في تشكيل الخطاب الدعوي والحديث الشريف منه.

وكان منهجي في هذا التطبيق وفقاً لمنهجي "أوستين Austin" و" سورل Searle".

وأنهيت هذا البحث بما انتهى إليه من نتائج يفترض أن تجيب عن هذا السؤال: وماذا بعد هذه الدراسة؟

وذيلته بملحق يتوفّر على الأربعين حديثاً الشمامية عساه ينفع قارئاً أو دارساً.

RESUME

Cette recherche à pour but de faire apparaître que la pragmatique linguistique, à la possibilité d'être appliquée aux hadiths du prophète (que le salut sur lui) avec tous ce que peut comporter cette méthode comme moyens et principes, et c'est pour cela que le titre de cette recherche a été choisi comme suit: "Les Quarante Hadiths de "Chahami" du point de vue linguistique pragmatique".

Cette recherche comporte trois chapitres, précédée par une préambule et une introduction et achevée par une annexe. Elle a été faite telle son introduction soit dans le sillage de toute introduction, relative à un sujet scientifique, ainsi, j'ai relaté les causes conduisant au choix du sujet, le méthode appliquée.....

J'ai cité dans mon introduction, la définition de la pragmatique, linguistiquement et conventionnellement, ainsi que j'ai essayé de faire connaître ou décrire le texte des "Quarante Hadiths" et son auteur .

Le premier chapitre a été consacré aux notions générales de la pragmatique, dans les deux études occidentales et arabes. Ces notions ont été présentées dans les préoccupations des anciens rhétoristes arabes, tandis que les occidentaux sont les fondateurs de la pragmatique linguistique, laquelle n'a pas encore atteint son apogée.

Dans le second chapitre, j'ai parlé des apports, dans ce domaine, des deux linguistes "Austin" et "Searle" vu que c'est à eux que revient le mérite d'avoir découvert "la théorie des actes de langage.

Dans le troisième chapitre, je me suis efforcé à appliquer, cette théorie aux "Quarante Hadiths".

J'ai terminé par un ensemble de résultats conséquents et une annexe comportant le texte des "Quarante Hadiths"

الفهرس

أ.....ج	المقدمة:
15.....01	مدخل:
44.....17	الفصل الأول:
60.....46	الفصل الثاني:
112....62	الفصل الثالث:
116...113	الخاتمة:
129...118	ملحق:
136...131	قائمة المصادر:
137	الملخص: